مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية

الوطن بِعَيْنَيْ زرقاء

دراسة موضوعاتية في شعر ثريّا العريّض

د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

عضو هيئة التدريس في جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

الرياض - المملكة العربية السعودية

الكويت

2018

مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

هاتف: 22415172 965 +
فاكس: 22455039 965 +
البريد الإلكتروني: info@albabtaincf.org
ردمك: 978-99906-72-66-4
رقم الإيداع: 2018-0198

تصميم الغلاف: محمد العلي

الطبعة الأولى

صدرت بمناسبة إقامة الموسم الحادي عشر
لمهرجان ربيع الشعر العربي - مارس 2018

حقوق الطبع محفوظة للمؤسسة

الإهداء

إلى وطني
بعمقِ الحُبِّ والانتماءِ والتجذُّر

****

التصدير

تعد الشاعرة ثريا العريض من أبرز الشاعرات المعاصرات في منطقة الخليج العربي اللواتي حملن هموم الأمة والوطن، ورأت ببصرها النافذ وبصيرتها الثاقبة ما يحيق بالوطن العربي من مخاطر وتحديات لا حصر لها.. فجعلت الشعر سبيلًا تُبصِّر من خلاله أبناء الأمة بأمجاد أسلافهم وتستنهض عزائمهم لإعادة هذه الأمجاد في المجالات المختلفة.

فالتاريخ العربي زاخر بالشخصيات العظيمة التي نفخر بها والتي كانت في يوم من الأيام من تاريخنا المضيء - المنارات الشامخة التي يُهتدى بها وكانت هي من يقود العالم وينير طريقه.

لقد سبق العرب العالم كله في مجالات العلم والمعرفة، فماذا حدث لهم اليوم حتى أصبحوا على شفا حفرة.. لكن الأمل لا يفارق الشاعرة حتى ونحن نعيش في أحلك الظروف، وتحقيق الآمال المرجوة لن يكون إلا بالتمسك بقيمنا الأصيلة والأخذ بأسباب العلوم العصرية والمبادرة إلى كل ما فيه خير الأمة ونماء الوطن.

أشكر الدكتورة أحلام القحطاني عضو هيئة التدريس في جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن بالرياض بالمملكة العربية السعودية على هذه الدراسة الضافية في شعر الشاعرة العربية ثريّا العريّض وإيلائها موضوع الوطن الذي كان أحد أهم الموضوعات التي شغلت قضاياه الشاعرة في أكثر من عشرين قصيدة من قصائد

دواوينها الشعرية الثلاثة التي سطّرتها منذ تسعينيات القرن الماضي: «عبور القفار فرادى»، و«أين اتجاه الشجر»، و«امرأة دون اسم».

ثريا العريض تطلق العنان لعاطفتها.. تتغنى بحب الوطن.. تعبّر عن همومه بشاعرية متميزة، وفنية عالية، وروح وثّابة.. جذورها في الأرض وأغصانها في السماء، فوالدها هو الشاعر الكبير إبراهيم العريّض الذي انتقل إلى رحمة الله في عام 2002 وكان الفائز في ذلك العام بالجائزة التكريمية لمؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية لدورتها الثامنة التي أقامتها في المنامة عاصمة مملكة البحرين باسم الشاعر ابن المقرب العيوني.

لقد اختارت المؤسسة هذا العام الشاعرة الكبيرة ثريا العريض للاحتفاء بها وبإبداعها الشعري في مهرجان ربيع الشعر العربي الحادي عشر مارس 2018 بعقد ندوة أدبية حول شعرها وأمسية شعرية يشارك فيها عدد من شعراء العربية، وهذا الكتاب هو أحد إصدارات المهرجان وهو يبرز اهتمامات الشاعرة بوطنها العربي وأمتها وثقافتها العريقة.

والله ولي التوفيق،،،

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في 28 جمادى الأولى 1439هـ

الموافق 14 فبراير 2018م

****

تقديم

بدأت رحلتي مع الشاعرة ثريّا العريّض في مرحلة الماجستير؛ حيث تناولت قصائدها في دراستي لموضوع: «صورة الرجل في شعر المرأة السعودية»، فظهر الرجل في شعرها رمزًا وواقعًا وحلمًا ووطنًا.

وفي مرحلة الدكتوراه كانت ضمن شواعر المشرق العربي اللاتي ضمّتهن دراستي الموسومة بـ: سيمياء المطر عند شوارع المشرق العربي، فكان المطر بدلالاته وتشكلاته ومفرداته المختلفة حاضرًا في شعرها.

ومن خلال دراستي لشعرها في هاتين المرحلتين، ظهر الوطن كموضوع بارز في نصوصها، وشغلتها قضاياه المختلفة، وشكّل عندها هاجسًا يكاد يحضر في كل قصيدة، وإن كانت قد تقمصت شخصية زرقاء اليمامة في ديوانها الثاني: «أين اتجاه الشجر..؟» لتحذر أبناء وطنها من الأعداء، فإنها أهدت ديوانها الثالث: «امرأة دون اسم»، إليه؛ حيث تقول: «إلى الوطن الذي سألته: اسمك اسمي..؟ اسمك اسمي..؟ ثم التبست الأصداء...»[1] إضافة إلى أنها عُرفت محليًا باسم شاعرة الوطن[2].

وأستطيع أن أحيل ذلك إلى عدة أسباب؛ منها: اغتراب الشاعرة عن وطنها، وتجذرها في ترابه وعشقها له، وحلمها وتفاؤلها بوطن مثالي، ووعيها بمشكلات وطنها العربي الكبير وقضاياه المختلفة، وتألّمها من صراعاته وحروبه، والحدس

(1) امرأة دون اسم، ثريا العريِّض، الطبعة الأولى، الدمام: مطابع التريكي، 1418هـ/ 1998م، ص5.
(2) يُنظر: ثريا العريض شاعرة، مجدي عيد الأحمدي، رسالة مقدمة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة عام 2006، ص11.

العالي الذي تتمتّع به؛ حتى جعلت زرقاء اليمامة معادلًا موضوعيًّا لها في ديوانها: أين اتجاه الشجر..؟

إن هذا الظهور اللافت للوطن في نصوص ثريا العريّض، حفّزني إلى تناول صوره البارزة في شعرها، مثل: الوطن المحبوب، والوطن الحُلُم، والوطن الجرح.

وقد اتكأتُ في هذه الدراسة على دواوين الشاعرة الثلاثة: عبور القفار فرادى (1414هـ/ 1993م)، و: أين اتجاه الشجر..؟ (1415هـ/ 1995م)، و: امرأة دون اسم (1418هـ/ 1998م).

وانطلاقًا من طبيعة الدراسة وأهدافها، فقد اتبعتُ المنهج الموضوعاتي في تناول ملامح الوطن في شعر ثريّا العريّض، باعتبار الموضوعاتية قراءة دلالية تهتم بكشف المعنى وتفسير النص، إضافة إلى تضمنها المنهج النفسي والتأويلي، فهي نقد وصفي ينبني على فهم النص من أجل استكشاف المعنى وإظهاره وتضخيمه[1].

وبلغ مجموع ما اعتمدتُ من نصوصها التي ظهرت فيها صورة الوطن: اثنان وعشرون نصًّا.

كما قُسِّمت الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وثَبَت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

والحمد لله والشكر له على توفيقه وتيسيره وفضله العظيم.

أحلام الحميد

29 يناير 2018م

12 جمادى الأولى 1439هـ

****

(1) يُنظر: النقد الموضوعاتي، د.سعيد علوش، الطبعة الأولى، الرباط: شركة بابل للنشر والتوزيع، 1989م، ص6، 7، والمقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، جميل حمداوي، المغرب: مجلة طنجة الأدبية، 24/ 2/ 2009م، 1098 – http:/ / ar.aladabia.net/ article – ومنهج النقد الموضوعاتي في البحث عن النغم الضائع، د.جوزف لبّس، (مقدمة أطروحة الدكتوراه)، الجامعة اللبنانية، 2003م، ص2.

المبحث الأول

الوطن/ المحبوب

المبحث الأول: الوطن/ المحبوب

إن «صورة الوطن في قصيدة المرأة الشاعرة تتماهى في صورة الحبيب الوعد والبحث عن زمن الوطن بحث عن زمن المحبوب، وهي صورة ذات أبعاد رومانسية وجدانية؛ لذا كانت معاني القدسية والإجلال تتجلى في خطاب المرأة الشاعرة الذي تجلو فيه مشهد الوطن»[1]، وثريا من الشواعر اللاتي تماهت في خطابها الصورتان، فالوطن المحبوب، والمحبوب الوطن حاضران في شعرها.

لقد أسهمت مراحل الاغتراب التي عاشتها الشاعرة، في إظهار الوطن بصورة المحبوب في مواضع عديدة من نصوصها، ففي الغربة تغني له وتشتاق ويتعبها الحنين، وتؤنسن صورته كرجل يبادلها الشوق والحب واللهفة والغناء.

لقد كانت بيروت أولى محطاتها في الاغتراب؛ حيث حصلت على شهادتها الجامعية، وعلى شهادة الماجستير من هناك، ثم كانت الولايات المتحدة الأمريكية محطتها الثانية لدراسة الدكتوراه[2].

هذا الابتعاد عن الوطن، جعل في شعرها مضامين رومانسية مليئة بالشجن والاشتياق، تقول في قصيدتها: حروفٌ بأغنية خائفة:

(1) التجربة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية: دراسة نقدية – رؤية وشهادة، محمد صالح الشنطي، الطبعة الأولى، حائل: النادي الأدبي، 1423هـ/ 2003م، ج3، ص905.

(2) يُنظر: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، إعداد مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الطبعة الأولى، الكويت: نشر المؤسسة، 1995م، ج1، ص626؛ وشاعرات معاصرات من الجزيرة والخليج، سعود الفرج، الطبعة الأولى، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1423هـ/ 2002م، ص72؛ وقاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، إعداد دارة الملك عبدالعزيز، الرياض: إصدارات دارة الملك عبدالعزيز، 1435هـ، ج2، ص1098، 1099.

وجهكَ يسكنني في الصميم

ولا أعرفه..؟

وطنٌ ضائعٌ.. أنت

جرحٌ عميقٌ قديم..

وها نحن وجهًا لوجهٍ

حروفٌ بأغنيةٍ خائفةْ

هل نموتُ إذا صمت اللحن؟

.....

أغنيةٌ لفيروز تملؤني بالحنين

لشيء أحسُّ به مثلها

اغترابًا أسمّيه

غير الذي أنت تدعوه عند اللقاء

لهفةً في الضلوع.. ارتعاش شفاه

أراه أنا موسم الإنتماء

وتحسبه موسم العاصفةْ

.....

أغنيةٌ تتدفّق تملؤني بالحنين

هل نتداخل..؟

.. أنت.. أنا..؟

نتكامل..؟

فيروز تسكن شوقك لي

..تستبدُّ؟

تعذبني همسة الصوت

بحّتهُ.. في حوار السنين

يعذّبني فيك شوقُكَ للأرضِ فيَّ

وروحي معلّقةٌ بالسماء[1]

تختلط صورة الوطن بالمحبوب، فللآخر: «وجه وضلوعٌ وشفاه...» هذا الغناء العاطفي ومفردات مثل: «اللقاء، واللهفة، والشوق، وهمسة الصوت، والحوار...» كلها تجعلنا للوهلة الأولى ننسب هذا النص إلى الآخر/ المحبوب، لكن القراءة الأخرى المتعمقة تظهر لدينا بعض الدلائل التي تجعلنا نميل إلى أن الآخر/ المحبوب الذي غنّته الشاعرة ليس إلا الوطن!

ومن هذه الدلائل: مفردات الاغتراب التي تبوح بها الشاعرة في النص، إضافة إلى الخاتمة؛ إذ تقول:

فيروز في القلب ملء الحياةْ

ينتفض القلب يعلنُ بدء الحياةْ

يشرقُ بالشوق أفقُ..

ويخضرّ عمقُ..

ويغرقنا الصمت.. دفءٌ حميم

لم نستجب للصحارى

ولم نبتعد[2]

فقد أعلنت في هذه الخاتمة اللقاء العاطفي الدافئ مع الوطن، عن طريق استخدام المفردات الدالّة عليه مثل:

ويخضرّ عمقُ.. ← **إشارة إلى اخضرار العلم**

لم نستجب للصحارى ← **من بيئة وطن الشاعرة**

(1) عبور القفار فرادى، ثريا العريِّض، الطبعة الأولى، الطائف: النادي الأدبي، 1414هـ/ 1993م، ص31، 32.

(2) عبور القفار فرادى، ص34.

فالوطن هو المحبوب الذي غنّته الشاعرة في نصها.

إن «هذا الغناء المكثّف للوطن يعبر عن حضور وجداني وتماهٍ بين الصورتين: الرجل/ الوطن والرجل/ الحبيب، فتارة نرى صورة الحبيب في الوطن، وتارة ترمز للوطن في صورة حبيب غائب، قد تعاتبه وتذكره بماضي الأيام، وقد تتساءل مستنكرة ما آلت إليه الحال، لكنّ ثمة رباط قوي بينهما يجعلهما متصلين على الدوام؛ ولعل هذا النص: أموت مرتين، خير شاهد على تماهي وتداخل الصورتين: الرجل/ الوطن، والرجل/ الحبيب»[1]، تقول ثريا فيه:

أموتُ أنا مرّتين
مرةً.. حين يجمعنا الدربُ صمتًا
مرةً.. حين في صمتنا.. نفترق
في الأضلع النهلُ
والأرضُ صوحُ
وفي الشفتين حصار الزمن..!
كنا معًا ذات يومٍ
وها نحن.. أحلامنا نغمةٌ تختنق
ها نحنُ..
في ساحةِ الصَّبرِ.. في ساعةِ الصِّفرِ
يربطنا الصّمتُ لا ننعتقْ
أسائلُ عينيكَ عنكَ.. وعنِّي
فتهربُ منّي..!
لا أنا منكَ.. ولا أنتَ منّي

(1) صورة الرجل في شعر المرأة السعودية، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير) في الأدب العربي، إعداد: أحلام بنت منصور الحميد القحطاني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية بالرياض، 1432هـ/ 2011م، ص161.

أكنّا حبيبَين يومًا؟

غريبَين دومًا؟

أكنّا نغنّي؟

وها نحنُ.. نرقصُ رقصَ الذَّبيحَين

ما بيننا صمتنا يصطفقْ

ويعلو الجدار..

ويعلو الجدار..

فأينَ حدودُ الدّيار..

وأينَ الوطنْ؟

أموتُ أنا مرَّتين

مرّةً... حينَ حُلمي يموتُ على الشّفتَين

مرّةً.. حينَ فيكَ أعاني فِصامَ الوطنْ..![1]

فالنص قائم على التكرار اللفظي والتركيبي، الذي أسهم في خدمة المعنى، ومن المفردات المكررة مفردة: صمت، فقد تكررت أربع مرات على النحو التالي: «صمت، صمتنا، الصمت، صمتنا»، وكثيرًا ما تربط ثريا هذه المفردة بحضور الوطن في العديد من نصوصها، فـ «في ديوان: عبور القفار فرادى، كان الصمت في الأغلب رسالة تعكس المجتمع، والبيئة التي تتراءى أمام الشاعرة، وتُلاحظ من خلالها الفرقة والعزلة التي تسيطر عليهم، أما الوطن فيحمل في أحشائه طموح الشاعرة في أمةٍ السعادة عنوانهم، فالصمت والوطن يحملان بعدين: البعد الأول سلبي وهو من نصيب الصمت، والبعد الثاني: إيجابي وهو من نصيب الوطن»[2].

ومن التراكيب المتكررة في مقدمة النص وفي الخاتمة:

---

(1) عبور القفار فرادى، ص55، 56.

(2) ثريا العريض شاعرة، ص121.

أموتُ أنا مرّتين

مرةً.. حين يجمعنا الدربُ صمتًا

مرةً.. حين في صمتنا.. نفترق

أموتُ أنا مرّتين

مرّةً... حينَ حُلمي يموتُ على الشّفتَين

مرّةً.. حين فيكَ أعاني فصامَ الوطنْ..!

فالتكرار أفاد التأكيد، وزيادة في عمق معنى الموت، ففي البداية كان الصمت هو سيد الموقف، فتموت ألمًا ووحشة حين يجمعهما الدرب الصامت، وحين يفترقان على الصمت ذاته، ثم تموت مرتين أيضًا؛ المرة الأولى حين مات حلمها قبل أن يُنطَق، والثانية معاناتها من الاضطراب الحاد في التفكير، والرؤية، والتعبير عن المشاعر في وطنها، وهو الوجع الذي يعادل إحساس الموت.

كما يعكس التقابل التوحّد وليس التمايز، في نحو قولها: «أكُنّا حبيبَين يومًا؟ غريبَين دومًا؟» وهو تعبير عن عمق حالة الحب بينهما.

وتقول في نص: زنبقة من حرير:

ها أنذا

يبدّدني الحزنُ.. إذ أعترف

ما زلتَ في الذاكرةْ

بحجم وجودي

تملؤني لهفةً.. غربةً.. وشقاء

أحاول أن أتجمّع جاهدةً

أحرّك أجنحتي

أتباعدُ عنك.. أطير

أخرجُ من وجع الذاكرةْ

أخرج من عبث اللاشعور

أحطّم أسطورةَ الزمنِ المتوقّفِ في المنعطف

أنساكَ.. أنساكَ

أمحوكَ من غربتي

حنيني.. اشتياقي إليك

فترفض ذاكرة الوقتُ ساخرةً أن تقف

تعلنُ عصيانها

تشدّ قيودي

تعود إليّ التفاصيل

كل التفاصيل

تشعل جمرتها في الضلوعِ

أصداءَ ضحكٍ.. غناء[1]

نقرأ في بداية هذا النص الطويل «خطابًا وجدانيًّا مشتعلاً حنينًا وصبابة للآخر الذي ما زال يسكنها رغم الغياب والابتعاد، هو مقيم في الذاكرة، عصيٌّ على النسيان، يثير الوجدان، يحرّك الحلم، يملؤها لهفة واشتياقًا»[2]، ومهما حاولت الابتعاد ومحوه من ذاكرتها، تعود تفاصيله المملوءة أصداء ضحك وغناء.

وثريا تجيد فنّ التشخيص؛ فقد أبدعت «في أَنْسَنة هذا الآخر والرمز إليه لتفاجئنا في ختام النص بإعلان أن هذا المحبوب ليس سوى وطن تغرّبت عنه فعادت إليه مغتسلة بدموع ملامح نخله، وارتعاش ظلال شموعه»[3]، يملؤها الشوق والحنين:

(1) عبور القفار فرادى، ص87، 88.
(2) صورة الرجل في شعر المرأة السعودية، ص163.
(3) السابق.

تعود إليّ ملامح نخلك مغسولةً في الدموع..
ارتعاش ظلال الشموع..
كأهدابنا ترتجف
هدأة.. وانطفاء
أعود إليكَ..
أعود إليكَ..
بكاء
تمزّقت الأجنحةْ..!
آه يا وطني
يملؤني اليوم شوقٌ فظيعٌ إليك
شوقٌ فظيعٌ إلى الموت بين يديك
لعلّي أحرّك هذا الزمان
للمرة الآخرةْ
لكي لا أصير
بذاكرة الوقت زنبقةً من حرير
فراشة وهمٍ.. ممزّقة الحلم
أجنحةً.. لا تطير![1]

إن ثريا تتوحّد بالوطن المحبوب، تشتاقه، وتعشقه، وتتمنى الفناء فيه، حاملة آمالها بتغيير دفة الزمان إلى الأجمل.

وتقول في قصيدة: وطنًا كنت:

أنتَ..
من أنت..؟
تبقى بسهدي احتدام سؤال

(1) عبور القفار فرادى، ص88، 89.

بين الحقيقة.. تنقضني
والدروب العتيقة.. ترفضني
والحلم.. حينًا يلملمني
وحينًا يبعثرني
سحابة وهمٍ على شرفات الخيال
وطنًا كنتَ
في هجير الصحارى
أفجّر فيه الينابيع
يغمرني بالظلال
وطنًا كنتَ..
عزفًا على وتر القلبِ..
لحنًا تدفّق بالحُلمِ..
بالحزنِ..
بالحبِّ..
حينًا.. وزال
أنتَ
حلم الطفولة
وعد السنابل في الجدبِ
ذاك الذي لا يزال يعذّبني
حين أغمض عينيّ
أبصره يحتويني
حين أفتحها
لا أرى فيه غير الرمال[1]

---

(1) عبور القفار فرادى، ص81، 82.

تستعير ثريّا في هذا النص مفرداتٍ من طبيعة الوطن.. فـ «هجير الصحارى، الينابيع الظلال، الجدب، الرمال» تضاريس ومناخات لوطن الشاعرة تلقي بظلاله على صورة ذلك الآخر/ الحبيب مستفهمة عن طبيعته الغامضة المتناقضة المتقلبة كتقلب مناخات الوطن، مؤكدة أنه حلم الطفولة ووعد سنابلها في وقت الجدب[1]، وهنا تتماهى صورة المحبوب بالوطن وتتداخل.

والشاعرة في بداية النص «تقرر ثم تسأل ثم تقرر، والتساؤل – هنا – لا يحمل معنى الانفعال بقدر ما يزعزع الشك وينثر بذرة اليقين؛ لأن التقرير بعد السؤال بمثابة الانغراس في قرارة اللحظة وتثبيتها»[2]، وهذا الأسلوب كثيرًا ما تلجأ إليه ثريا في نصوصها.

وأستطيع فهم هذه القصيدة عبر تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: الوطن/ التساؤل، والوطن/ الاحتمالات، والوطن/ اليقين.

وتتضح هذه المعاني عبر الخطاطة الآتية:

الوطن/ التساؤل: ← **أنتَ..**

من أنت..؟

تبقى بسهدي احتدام سؤال

الوطن/ الاحتمالات:

- الوطن/ الحقيقة (الواقع) ← **تنقضني**
- الوطن/ الدروب العتيقة (الذكريات) ← **ترفضني**
- الوطن/ الحُلُم ← **حينًا يلملمني**

حينًا يبعثرني

(1) يُنظر: صورة الرجل في شعر المرأة السعودية، ص162.
(2) التجربة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية، ج3، ص 904.

- الوطن/ الوهم/ الخيال ⟵ **سحابة وهمٍ على شرفات الخيال**

الوطن/ اليقين:

وطنًا كنتَ

في هجير الصحارى
أفجّر فيه الينابيع
يغمرني بالظلال

عزفًا على وتر القلبِ..
لحنًا تدفّق بالحُلمِ..
بالحزنِ..
بالحبِّ..
حينًا.. وزال

حلم الطفولة
وعد السنابل في الجدبِ
ذاك الذي لا يزال يعذّبني
حين أغمض عينيّ
أبصره يحتويني
حين أفتحها
لا أرى فيه غير الرمال

فالآخر/ المحبوب/ الوطن هو الذي يثير الأسئلة، ويجعلها تضع الاحتمالات، وهو أخيرًا اليقين المتمثل بالظلال والعزف والحب والوعد.

وحين أعرّج على ديوانها: أين اتجاه الشجر..؟ الذي غنّت فيه وعشقت ونزفت للوطن، ألحظ اتكاء ثريا في قصيدتها: غيرك ما كان - إضافة للحوار والمناجاة والاستفهام - على أسلوب التكرار، حين كررت عبارة العنوان المبتورة «غيرك ما كان» في أكثر من مقطع لتأكيد التماهي في الوطن، وعمق المكانة التي احتلها[1]:

بيني وبينك يا وطني
اِختلاطُ حقائقنا بالخيالِ
وجدبِ الرمالِ
تجسّدني ظمأً
كالحقيقةِ في بدني

(1) يُنظر: صورة الرجل في شعر المرأة السعودية، ص164.

وتبعثني من ضفافِ السّكوت
وشطِّ الرحيلِ المَهُول
فأعبرُ نحوكَ أيَّ صدى
لأقسمَ: غيركَ ما كانَ..
غيركَ ما كانَ.. يا وطني
فكيفَ تبعثرني
بَدَدًا بددا؟[1]

إن هذه «القصيدة أشبه بالانهمار الكلي الذي يقوم على التفجرات المتتابعة، وهذا ما يلائم طبيعة الانفعال الأنثوي، ولا يقوم على البناء المقطعي الذي ينحو منحى التنامي؛ إذ يشكّل كل مقطع فيه موجة انفعالية متتابعة تشكّل مدًّا متصلًا أو متناميًا يجسد الحركة الدرامية الأساسية في بنية النص.. إنها أشبه ببؤرة متفجرة متعاقبة تنتهي إلى قرارة السكون»[2]، هذا الانهمار العاطفي، والقسم بأن لا شيء يسكن حناياها مثله، يمثّل صورة الوطن المحبوب، فهي مستعدة لتتبع الصدى، واستجابة أي نداء منه نحوها، فهو حبٌّ مستقرٌّ وثابت لا يتبدل، وعتب الشاعرة على قدر محبتها وعشقها له.

كما نلحظ اختيار ثريا للغةٍ رقيقة في التعبير عن عاطفتها المتأججة في حب الوطن، فالوطن قريب جدًّا يسري في دمائها.

وفي قصيدة: طريقٌ طويلٌ.. إليك «تتقمص ثريا صورة العاشق الذي يفنى في الآخر/ الوطن، معتمدة على غنائية البوح، وعاطفة الأنثى الخاصة، مُنَاوِبَةً بين الأساليب الشعرية المختلفة في عزف رؤاها، لا تركن إلى سكون اللحظة، أو جاهزية الفكرة، بل تفجر ركام الصمت عبر صور كثيفة، وإيقاع حميمي»[3]؛ إذ تقول:

---

(1) أين اتجاه الشجر..؟، ص 26.
(2) التجربة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية، ج3، ص 904.
(3) صورة الرجل في شعر المرأة السعودية، ص165.

كمْ توقّفتُ خائرةً

أتساءلُ بيني وبينيَ عنك

«.. كيفَ أعشقُ فيكَ العذاب..؟»

كمْ توقَّفتُ حائرةً

إذْ يُسائلني عنكَ صوتٌ مُرِيب:

«.. تُحبِّينهُ ؟.. وكيفَ المُواتُ يُحَبُّ..؟»

العيون التي نبعها ولّد الحلمَ قد نضبت

والنخيل تصارع باحثة عن تراب..

والزهور تموت اختناقًا بأرض بوار

والمنى شحبت..

أحبُّكَ..؟ كلّ وجوديَ أنت!

بكلِّ جفافكَ.. كلِّ الغبار..

فيكَ العيونُ التي سكنتني تظلْ!

والوجوهُ التي سكبتْ بملامحِ وجهي

انعكاساتُ أشجانها.. لم تزلْ!

همومُ الصغار..

غضون الكبار..[1]

فهذا الوطن يحمل لها «معنى الوجود، فما دامت تتنفس وطنًا فهي تتنفس وجودًا، ولا يقلل من دلالة الوجود جفاف وطنها وغباره، فهي تتنفّسه رغم كل ذلك، ورغم الوجوه التي ألقت على وجودها ظلالًا من الوجوم، إنها تعشقه لذات العشق، لا لذات مفرداته وحسب»[2]، كما تظهر في هذا النص ملامح الوطن الأصلي

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص 45 – 46.

(2) شعر المرأة السعودية المعاصر: دراسة في الرؤية والبنية (1383 – 1423هـ)، فواز بن عبدالعزيز اللعبون، الطبعة الأولى، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ/ 2009م، ص254.

للشاعرة، عبر إيراد مفردات من بيئتها مثل: «العيون، النخيل، التراب، الجفاف، الغبار...» وهي تحبه وتفنى فيه رغم كل شيء، وفاءً وشجنًا والتحامًا وتجذّرًا.

فالشاعرة تنجح في تقديم قصيدة حب إلى الوطن، وتشكيل لغة خاصة بها تحمل شجنها ولوعتها وأنّاتها وأفراحها مستدعية من ذاكرة الأنثى مترادفات الحب والعشق، لتسكبها فوق أرضه، وتختزلها في لغة أنثوية دافئة، فالمرأة مفتاحها الحب وهو العطاء الذي تتقنه بمهارة، دون أن يفرضه عليها أحد[1].

وتقول في قصيدة: الموت في الساعة التاسعة:

أحبّكَ حتفًا؟

أحبّكَ مثل القضاء

أحبّكَ حينَ يَفِلُّ الحديدُ الحديدَ

أحبّكَ حتمًا

أنا لا أرى فيكَ غيرَ انبثاقِ الصّباح

فهلْ أستميحكَ حُلمًا؟

أعيدكَ في نبضةِ الزّوبعةْ؟[2]

تصرح ثريا بحب الوطن عبر تكرار لفظة: «أحبك» وذلك «في لحظة بوح متجلٍّ، وأَنْسَنةٍ، وتمازج، وعين لا ترى غير محاسن المحبوب وجماله وإشراقة صباحه.. حتى أضحى حبه قضاء مكتوبًا»[3] فهو الحياة، والأمل، والحلم.

وفي ديوانها: «امرأة دون اسم»، تتمازج الصورتان، فترسم وطنًا بصورة محبوب، ومحبوبًا بصورة وطن؛ إذ تقول في قصيدة: دون اسم:

---

(1) يُنظر: ثريّا العريّض والشعر، إعداد محمد علي الخلفان، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة للنشر والتوزيع، 2008م، ص73، 74.

(2) أين اتجاه الشّجر..؟، ص73.

(3) صورة الرجل في شعر المرأة السعودية، ص166.

غنِّني
مثلما أتراءى لوجدكَ صمتًا
تراتيل امرأةٍ غرّبتها حروفُ النداء
رأت في سرابِ الصحارى بريقَ
وجودٍ حنونٍ بوعدِ وطن
غنِّني
انعتاقَ صهيلٍ بشوق مدى
لاسمٍ يعيد المدى مبتدى
أو صدًى لم يكُن.[1]

إن «المحبوب الذي تفنى فيه الشاعرة له بريق الخزامى، وهمس النخيل، وحين تذكر تقاسيم وجهه فإن زمان الفيافي يتحول إلى انهمار مزهر في مقلتيها، وحين يتلاشى ظلال الغياب تحوّلهما الغيوم إلى مدى راكض فرحة وانتشاء»[2]، فهو الملهم الذي يطلق قوافيها، كما تقول في قصيدة: أفق الخزامى:

وأنتَ الذي تُطْلقُ الأفقَ
كي تصهلَ القافيةْ
وأنتَ الذي يُنطِقُ الصّمتَ
في الزمنِ العربيِّ
يُعيدُ اليبابَ حياةً.. وفيضَ سنابل
وجدبَ المنافي.. ضفافَ وطنْ[3]

تطلب ثريا من ذلك الآخر/ الوطن الذي يملك صفات الإنسان، أن يغنيها كما هي: امرأة مختلفة، عميقة، تملك الحدس والقدرة على استشراف المستقبل،

(1) امرأة دون اسم، ص 62.
(2) صورة الرجل في شعر المرأة السعودية، ص166.
(3) امرأة دون اسم، ص 94.

متفائلة، ترى في سراب الصحارى بريق وطنٍ مختلف، واعد بكل جميل، يليق بشوقها الممتدّ لذلك اليوم.

وفي ختام هذا المبحث ألحظ أن وطن الشاعرة السعودي قد ظهر رمزًا في بعض المواضع - رغم النفحة العربية القومية التي ينضح بها شعرها - ملقيًا بظلاله الرومانسية المتمثلة بالحنين والشجن والاشتياق، كما ظهر واقعًا حين عبرت الشاعرة عن قلقها من بعض الأحداث الخاصة، فـ «هي الخبيرة في شؤون التنمية السعودية والمتشبثة بذاكرة الوطن، النازفة حبًّا وعطاءً لأرض احتضنت مسيرتها الإبداعية والفكرية»[1]، وهي المواطنة المحبة المنتمية إلى جذورها.

كما أطلق عليها الشاعر غازي القصيبي رحمه الله، لقب: زرقاء الظهران؛ حيث يقول في مقالة له بعنوان: زرقاء الظهران تبكي الوطن: «هذه زرقاء جديدة، لا تسكن اليمامة، تسكن الظهران بجوار جامعة الملك فهد للبترول والمعادن»[2].

****

(1) ثريّا العريّض والشعر، ص8.
(2) السابق، ص201.

المبحث الثاني

الوطن/ الحُلُم

المبحث الثاني: الوطن/ الحُلُم

يمثل الوطن/ الحلم هاجس الشاعرة ثريا العريّض في ديوانها: أين اتجاه الشجر..؟ وهي «ترى صورة الحاضر عاجزة عن التمثّل المفترض في طبيعة النمو الاجتماعي وفق رؤية إنسانية خالصة، فتبدو مشغولة بمظاهر هذه السمة «الأساس» وتجسيدها في مشاهد شعرية حلمية معلنة»[1].

وهي حين تقمّصت دور زرقاء اليمامة، محذرة قومها من الأعداء، فقد استوحت «معانيها من معاناة حقيقية عاشتها كامرأة عربية تفتّش عن أحلام الوطن، وتنقشُ صورًا محمّلة بالبراءة، بالطهارة، بالأمل الجديد الذي لن يموت أبدًا ما دام الإنسان يحيا فوق الأرض، يسعى إلى الخير، ويحمل في أعماقه الأمانة التي كلّفه بها الله عز وجل»[2].

وتطالعنا صورة الوطن/ الحلم في قصيدتها: سفر، عبر رسم مشاعر القلق لامرأة قوية، تملك القدرة على التحدي، وإثارة التساؤلات دون توجسٍ أو خوف.

هي امرأة لا ترضيها أنصاف الحلول، فكيف تتراقص في دروب الصراحة وحرية الرأي والتعبير ومنبع العطر (الزهور) ممنوعة من الكلام والبوح، هي فراشة تفقد أحلامها حين يكمّم صوتها، وتمنع من حرية التعبير، فيكون السفر والابتعاد هو الحل؛ لتقول:

(1) ثريّا العريّض والشعر، ص127.

(2) حين غنّت الزرقاء... قراءة نقدية في ديوان: أين اتجاه الشجر..؟ للشاعرة ثريا العريض، الدكتور محمد رحومة، مجلة الواحة: مجلة فصلية تعنى بشؤون التراث والثقافة والأدب في الخليج العربي، العدد 17، الربع الثاني، عام 2000م.

تراءيتَ عن بعد

أنت المهاجرُ في حلمِ امرأةٍ

لا ينام بأحداقها الشوقُ للزهرِ

والأرض صولة صوح..،

أسافرُ فيك

وأنتَ المسافرُ نحو المعاني

بعينَيّ اِمرأةٍ تتوحّدُ بالصمتِ

تُوأدُ.. أو تُفتدى

وتصرخ في صمتها للقوافلِ:

إرثُ السراب مخاتل[1]

فالوطن الذي تريده تراءى حلمًا بعيد المنال، فهي امرأة لا تستطيع أن تستكين وتهدأ وينبت في روحها الشوق لحقول الزهر ومختلف المتع، والأرض في الواقع يابسة متشققة وجافة.

إلى أن تقول:

اقرأ الآن نقش الكفوفِ

وحدّقْ

ترى وَشْمَها

والأصول الوثيقةْ

فهي في النقش أصل الحقيقةِ..

كلّ الحقيقةْ..!

سفرٌ مستمرٌّ..

---

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص18.

وعمرٌ يبادل أشواقَها بحروفٍ

تكابد جمر انتفاءاتها في البلاد[1]

إن عمق وعي الشاعرة بهموم وطنها جعلها لا تشعر بالاستقرار في بلدها، فهي في سفر ومنفى رغم جذورها العميقة الممتدة فيه، لا يخفف وجع مشاعرها سوى حروفها المشتاقة للوطن/ الحلم.

ويفرض خطاب الأنثى في تعامله مع التجربة الإنسانية خصوصيته في شعر ثريا العريّض، فهي «لا تكرر المضامين التقليدية المألوفة في الشعر الوطني، ولا تبحث عن ذلك اللون من ألوان العشق الرومانسي للأرض والتراب، بل تعقد شكلًا من أشكال الحوار الذي يتجاوز الغناء، ناسجًا أفق رؤيا فيها ينقدح زناد تلك الشرارة الوجدانية، فتشعل الوعي بنار المعاناة المتولدة بفعل اللحظة التاريخية»[2] كما في قصيدة: «غيرك.. ما كان»:

بيني وبينك يا وطني

اختلاط حقائقنا بالخيال[3]

فبين الحقيقة والخيال مسافاتٌ من الظمأ والجدب، رغم قسوتها إلا أنها لا تمسّ حجم الحب الكامن والوفاء الممتدّ لهذا الوطن.

وتقول أيضًا:

وطنٌ أنتَ

مهما اعتذرنا عن الموتِ فيك

هذا الذي لا تقولُ..

ولا ترتضي أن يقالَ لنا

---

(1) أين اتجاه الشجر..؟، ص21.

(2) التجربة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية، ج3، ص902.

(3) أين اتجاه الشّجر..؟، ص26.

يستبيحُ شراييننا
وحين يضيّعُنا.. حلمًا نحتويك
نتوه بأرصفةِ الأغنيات
تخاتلنا وعينا
الأمنيات المليئة بالرمل والملحِ
نرفضُها
لا نقايضُها صخبًا ناشزًا..
لا نقايضُها
تراتيل اِمرأةٍ
يعزفُ الصمتُ فيها انتشاءَ الحياة
تراتيل اِمرأةٍ لم تكن قبل تعشقُ إلا المدى
ووجهكَ حين يخالسها الفجرُ نشوتَهُ
وطنًا موسميّ الندى
تفاجئُها عازفًا وجع الصمت والذاكرة
وتربكُ عودتها للسبات[1]

نلمس في النص «ثمة جدل بين الذات الشاعرة والوطن مما ينبئ عن تصدع (الأنا) وانقسامها مما أفرز ثنائية الصوت داخل القصيدة على الرغم من هيمنة الذات الشاعرة التي قامت باستجلاب الصوت الآخر وتماهت فيه، صوت الوطن الذي تخاطبه، تبتعد عنه وتقترب فيه، وفي كل حالة تواصل حوارها مع الذات.. إنها تشكل القصيدة بوصفها وعيًا بالوجود، لا بوصفها ذات دلالة عينية وصفية تمتح من الذاكرة وتتساق مع تداعياتها، ولا بوصفها بنية متجاورة تهدف إلى إقامة بناء لغوي جمالي محض»[2].

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص24، 25.
(2) التجربة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية، ج3، ص902.

وتستخدم الشاعرة مفردات من وطنها الحقيقي مثل: (نخيل، صحارى، رمال، هجير، موسمي، جدب...) لتؤكد حقيقة الحب والفناء في الوطن، حتى لو لم تتحقّق الأحلام فيه، فيكفيها أن تحلم رغم كل شيء، ففي دنيا الأحلام إرضاء للذات المثالية التي يصدمها الواقع دومًا، ولا ترى فيه مصداقًا لأمنياتها الطامحة.

وفي قصيدة: طريقٌ طويلٌ.. إليك، غناءٌ عاطفي مليءٌ بالشجن والحب والعتب والتساؤلات تنتقل فيه كذلك من هم الوطن العربي الكبير إلى وطنها الحقيقي، ودلائل ذلك استخدامها العديد من المفردات من بيئتها الخاصة مثل: (العيون، النخيل، الجفاف، الغبار...) وشاهد الوطن/ الحلم قولها:

نحنُ أيضًا بنوك
سادرٌ أنتَ عنّا ونهواكَ
نحلمُ أن سيكونُ غدًا
يوم عيدٍ نلاقيكَ فيه
نرى فيه وجهكَ.. وجه محبٍّ حنون[1]

ورغم واقعية ثريا إلا أنها لم تتخلَّ عن التفاؤل والحلم، فمهما تاه الوطن عن بنيه، فهم ماضون في هواه، يحلمون بيوم العيد الذي يلتقون فيه بوطنهم المحب الحاني، فالغد أجمل حتى إن قسى الماضي والحاضر.

وثريا لم تتوقف عن الحلم بالوطن الذي تحب وتريد؛ إذ تقول:

لكَ يا وطني لهفةُ الحبِّ
حين بأعماقنا يتمادى اشتياقُ النهار
وتطفحُ أغنيةٌ من بقايا زمانٍ عتيق
روعةً.. حلمًا.. بأعيننا لا يموت

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص47.

بأعيننا لا يموت

برغم اليباب

بوارٌ..

ولكننا بانبعاثاته نتحدّى البَوار

دوارٌ..

ولكنّنا لعيونكَ لا يعترينا الدوار

لكَ أغنيةُ الحزنِ..

أغنية السعدِ..

أغنية الانتظار

أغنية الأملِ المتولّدِ تحت الجفون..

كلّ الذي كان منّا

ومالم يكن منكَ.. أو سيكون

نغفرُه ونمسحُ عنك التعب

همومُ زمانٍ غريبٍ.. كئيبٍ.. خؤون!

لكَ – إن شئت – حتى اندلاع الغضب

وحبٌّ كبيرٌ.. كبيرٌ

تمادى لأقصى الجنون..

طريقٌ طويلٌ.. إليك

أقدامنا يعتريها الكلَل

وحتى السرابُ الذي نستضيءُ به يلتهب

طريقٌ طويلٌ.. إليك

عبرَ الشرايينِ مشحونةً بالأمل

ولابد يومًا نصل

.. رغم الليالي الشحيحةِ

.. رغم التخاذلِ.. رغم التساؤلِ

رغم سقوط البراعمِ

رغم الوجل..

على الدربِ نبقى

على الدربِ – حتى نلاقيك – سوف نظلّ

ولا بدّ يومًا ترانا

تنادي بأسمائنا

ولا بدّ يومًا نصل![1]

فالوطن هنا معادلٌ للحلم الذي لا يموت ولا يفنى مع كل شيء، فالأمل والإصرار والتحدي والحب يصنع المعجزات، ويصنع الوطن/ الحلم.

والطريق الطويلة مملوءةٌ بالأمل، مشحونةٌ بالعزيمة، وتحدي كل العراقيل مثل: (شحّ الليالي، التخاذل، الخوف...) هي واثقة من انبلاج الفجر، والوصول إلى مبتغاها.

وتعزف في قصيدة: الموت في الساعة التاسعة، على جراحات الوطن العربي الكبير بحدوده المتسعة من الخليج إلى المحيط؛ إذ تنتشر مفردات الحلم متصاحبة مع الوطن مثل قولها:

آهٍ من الحلم.. نسرق أحلامنا

من قواميس أمسٍ مجيد[2]

ومثل قولها:

طوبى لحلم التصاعدِ..

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص48، 49، 50.
(2) أين اتجاه الشّجر..؟، ص68.

للغرباءِ..

لهم منكَ يا وطنَ الأغنيات

ما لا نطالُ بنا

في انعتاقات أحزانِنا

ما لا نطيقُ بنا

في انبعاثاتِ أشواقنا للفيافي

ذائقةُ الصمتِ ملحًا بجرحٍ رهين

وغصّةُ صرختكَ الشاسعةْ[1]

ولكننا نلحظ ارتباط الوطن/ الحلم بمفردات الوجع والحزن والصمت والجراحات، أكثر من الأمل والتحدي والإصرار.

والشاعرة - غالبًا - في هذا الديوان «ليست مؤطرة بجغرافية يمكن أن تحد من اتساع تلك المظاهر العلمية لأن تكون عربية رحبة أو إنسانية مطلقة دون الخضوع لشريحة أو جزئية جغرافية بعينها، فهي ترتكز على مضامين الحس الإنساني لتتغلغل في الواقع العام وتصويره شعريًّا دون تعب يذكر في استجلاء الدوال حيث اختصرت المسافة بين رؤيتها ووعي المتلقي إلى حد مباشر، وبالدخول عمدًا إلى تجسيد الحالة الكائنة»[2].

وفي قصيدة رمزية بعنوان: النقاط، تقول ثريّا:

منذ ابتداء الدوار

الأرض مفردةٌ لم تهن

في صخب القارئين

بُنينا بها وقرًا

---

(1) أين اتجاه الشجر..؟، ص75.

(2) ثريّا العريّض والشعر، ص127.

وبانت بنا عقمًا

فمن – حين نصطفّ والواقفين –

يضيءُ لنا حلمًا لانعتاق الحوار؟

ومن؟

يولّدها وطنًا وانبلاج زمن؟[1]

إلى أن تقول:

تستبيح خطوط التماس

لغة العارفين

فمن

يولّدها مطلعًا لانبلاج نهار؟

ومن سيحيل الركام طلوعَ وطن؟[2]

ففي هذه القصيدة، تكرر التساؤلات التي تتعلق بالأرض، والوطن، والحلم؛ على النحو الآتي:

مَنْ ← **يضيءُ لنا حلمًا لانعتاق الحوار؟**

مَنْ ← **يولّدها وطنًا؟**

وانبلاج زمن؟

مَنْ ← **يولّدها مطلعًا لانبلاج نهار؟**

مَنْ ← **سيحيل الركام طلوعَ وطن؟**

فـ (مَنْ) أداة استفهام للعاقل، وتكرارها على هذا النحو يدل على إلحاح ثريا بالسؤال عن شخص عاقل، قادر على التحويل، وإحداث فرق في المشهد الحالي،

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص85.
(2) السابق، ص87.

يضيء ردهات الحوار، ويحيل الظلمات والعثرات المتراكمة إلى نهار وضّاء، ووطن مشرق.

ومفردات تحمل معنى: (الإضاءة، والولادة، والانبلاج، والإحالة، والطلوع...) كلها تتوافق مع معنى الوطن/ الحلم الذي تتوق له الشاعرة، وتطالب به.

وتختم ثريا ديوانها: أين اتجاه الشجر..؟ بقصيدة: نداء، التي تعد هدفًا لما جاء في مقدمته، وفي قصائده؛ إذ تقول في المقدمة: «وهي نداء حميم، ودعاء للجياد العربية الأصيلة التي أؤمن أنها تحلم - وهي تهاود الريح - بأجنحة تحملها فوق شفير الهاوية، ودوّامات السيل، إلى مدًى تشمخ فيه أشجار وطن الرؤيا.. ويندلح الفضاء»[1].

وهي تبدأ القصيدة بهذا التساؤل:

متى سوف تقرأ شوقك للحلم..؟

تولد منبجسًا بالحياة؟[2]

إلى أن تقول:

أُعبر الآنَ خوفكَ وارسم مداكَ ضفافًا

سابقِ الريحَ نحو المدى.. روعةً مفرحةْ

لك الشرق شمسٌ وفجرٌ ووعدٌ

لك الغرب أرجوحة للمساء الرفيق

لك الذاريات شمالًا جنوبًا

وكلّ التماع الأهلّةِ..

كلّ امتداد الطريق

---

(1) أين اتجاه الشجر..؟، ص7، 8.

(2) أين اتجاه الشّجر..؟، ص119.

فاترك الآن موتك واستقبل الذاريات

ارتجل موسم الأجنحةْ

راود النجم معتليًا صهوة الحلم..

ثم.. احتفل بصعودكَ منبعثًا من موات..

وليكن موسمًا للشجر..!

إنك الآن تشعر بالغيم في خطواتك

والريح في شفتيك

إنك الآن ترتاح للأفقِ

.. حين يناديكَ تصغي إليك..

وعند النداء تفيق

«هلا تماديت منعتقًا بوجودك..

هذا الوجود الجديد العتيق..»؟

يتصاعد فيك النداء..

تليق بك الأجنحةْ..

تغادر ظلّكَ مثل اليمامة من حرز أيك

لتعبر حزن القفارِ إليك

موسمٌ للسفر

وتبدأ من سورة الفاتحةْ..[1]

إن سطور ثريا الشعرية تقول: لقد حان الوقت لأن تتجاوز خوفك، وتسابق الريح نحو المدى، في أجواء احتفالية مفرحة؛ لتصنع الوطن/ الحلم، فكل العلامات مواتية..

وأستطيع توضيح معاني النص عبر هذه الخطاطة:

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص122، 123.

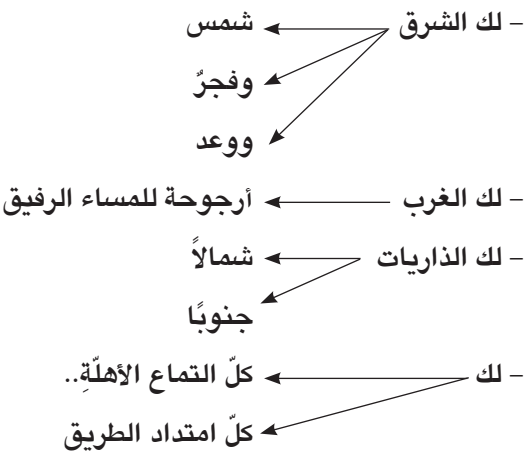

هذه العلامات المحفّزة تدعوك وتناديك لأن تفعل الأشياء التالية:

1 - **فاترك الآن موتك واستقبل الذاريات.**

2 - **ارتجل موسم الأجنحة.**

3 - **راود النجم معتليًا صهوة الحلم..**

4 - **احتفل بصعودكَ منبعثًا من موات..**

5 - **وليكن موسمًا للشجر..!**

إن انتهزت هذه الفرص، واستجبت للنداء فسوف تشعر:

تشعر ← بالغيم في خطواتك + والريح في شفتيك

ترتاح للأفقِ حين يناديكَ تصغي إليك..

وعند النداء تفيق

↓

«هلا تماديت منعتقًا بوجودك..

↓

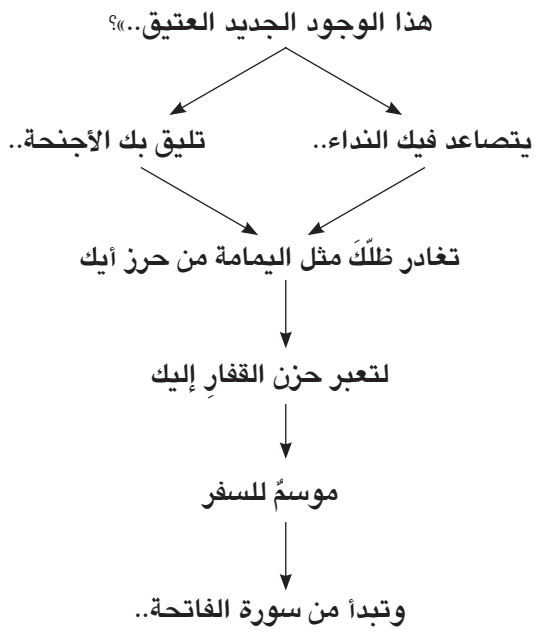

فالشاعرة توظف خطابها في صورة الوطن إلى الجمع، بوصفه تكوينات فردية في هذا النص، فمظاهر الاستنهاض الرجولي والأنثوي يتنامى ليكون استنهاضًا للوطن، وليمثل هذا الديوان بقصائده حالة مركبة من التمنّي المعلن في صيغ مباشرة وصريحة مثل: «اعبر الآن خوفك.. سابق الريح.. ارسم مداك ضفافًا ...» وارتكزت إلى حد كبير على انسيابية الإيقاع المرتفع البكائي، وأخذت الأفعال الجميلة الآنية فيه مساحة وقائعية مهمة رفدتها الشاعرة بأفعال الأمر واستخدام أسلوب النداء لتجسيد ذروة الانفعال، والاستنهاض، والنمو التصاعدي في البناء الشعري[1].

كما أن «الشاعرة في هذا الديوان تحتكم عادة إلى وعي امرأة رائية غير مقطوعة من جذورها، فترى ذاتها موصولة بالقديم، وبالتالي إلى «زرقاء اليمامة» المرأة ذات البصر الحاد والكاشف، وفي استرجاعها للقصة التراثية تحاول التأسيس

(1) يُنظر: ثريّا العريّض والشعر، ص132.

لأن يكون وعي المرأة انتمائيًا فاعلًا، ولا يقل في هذه الخاصية عن الوعي الصادر بأحادية رجولية، وهكذا يجمع الكل لدى الشاعرة ليساوي الوطن»[1].

وحين ننتقل إلى ديوان: امرأة دون اسم، «يأتي زمن الوطن ليحتل حيّزًا في قصائد الشاعرة وهي ترثي الذات القاحلة في حزن وألم»[2]، كما تواصل بحثها عن الوطن/ الحلم في أربعة مواضع منه؛ إذ تقول في قصيدة: دون اسم:

غنّني مثلما أتراءى لوجدكَ صمتًا
تراتيل امرأة غربتها حروف النداء
رأت في سراب الصحارى بريق
وجودٍ حنونٍ بوعد وطن[3]

فالشاهد في قولها: «رأت في سراب الصحارى بريق وجودٍ حنونٍ بوعد وطن»، فالوطن/ الوعد هو الوطن/ الحلم الذي عاشت الشاعرة تناديه في أغلب نصوصها.

إلى أن تقول:

اِمرأةٌ دون اِسمٍ
بكنه الحروف الظنينةْ
فمن سيعيدُ صياغة أحلامها؟
ينمنمها في المكان؟
الزمان؟
ظروف الصدى والوطن؟

---

(1) ثريا العريض و الشعر، ص127، 128.
(2) ديوان ثريا العريّض «امرأة دون اسم» وإلحاح على هويّة الوجدان، خديجة آيت عمي، صحيفة الحياة، العدد 12812، 1/ 4/ 1998م، ص20.
(3) امرأة دون اسم، ص62.

ويعربها بعد إعجامها

بعد إحجامها

سيدةً للضياء..

الولاء..

ترنُّ مواكبها في المدينةْ

باخضرار الدُمى والدمن..؟[1]

إن هذا النص وغيره «يحيلنا إلى شاعرة مسكونة بهاجس الوطن الممزّق بين الصمت والصمت، حكاية داخل حكاية، تداخل ما بين حلم قديم ينسجه خيال يتجدّد عبر حكايات تتكرّر لتعيد المأساة ذاتها»[2]، وهي لا تفتأ تحلم بالوطن/ الوعد عبر استخدام أسلوب الاستفهام الذي يعدّ ظاهرة في شعرها، والمراوحة بينه وبين الأسلوب الخبري؛ لإيصال المعاني التي تريدها.

تقول ثريا في إحدى الحوارات معها بعد إصدار ديوانها: امرأة دون اسم، حين سُئلت عن دوره في التأثير على القارئ: «كان القصد بالنسبة لي أن أرسم شيئًا من الملامح العابرة المتحولة المتداخلة، لتلك المرأة الطفلة الصبية العاشقة المواطنة، في حالات اختلاط قوس قزح الأفراح بسراب الأحزان الصغيرة، وملوحة سبخات الإحباطات الكبيرة بحلاوة الرحيق الذي نسترقه من أطراف البراعم النادرة، لا لكي أرسمها لأحد إلا ربما لذاتي كي أعرفها أكثر، وأحبها أكثر، وأعتذر لها عن كل ما لم أحقق لها في أوان الورد»، وهذا ما نجده في قصيدتها: أفق الخزامى؛ حيث تقول:

تتكسّر كل السلاسل..

كلّ السلاسل..

---

(1) امرأة دون اسم، ص68.

(2) ديوان ثريا العريّض «امرأة دون اسم» وإلحاح على هويّة الوجدان، ص20.

حين تفيء بصمت إليّ

أكاد أمسّ السنا بيديّ

بريقَ خزامى

وهمسَ نخيل

فأرجع من شرفات الرحيل

بشوق حداء القوافل

أما زلت تسمع لون الخزامى

ينادي..

يعاندُ موت اليباب

يعيد الربيع انتثارًا

وشوك الصخور مسارا

لرقص الأيائل..؟

أترسم وجهي..!

ملامحه تترامى

على الأفق باحثةً عن وطن..؟ [1]

وتشيع ملامح الفرح والبهجة، ويكتسي الزمن المتصحر بالانهمار، وتزهر الحقول في مقلتيها شوقًا وحنينًا لزمن الوطن القادم مطرًا وخزامى بعد الغياب:

يبوح الخزامى بأسراره

والرمال اضطراب

ووجهك ينسى تقاسيمه

في وجيب الغياب

زمان الفيافي يعود انهمارًا

---

(1) امرأة دون اسم، ص91، 92.

لتزهر في مقلَتَي
ينفردُ الشوقُ حتى
تصير الزوايا فضاء
تُلاشي ظلالَ الغياب غيومٌ تحنُّ
فتطلقنا من إسار السلاسل
مدًى راكضًا فرحًا وانتشاء
أجنحةً للحبارى
وأشرعةً للسفن
بوّابة لانعتاق الزمن
أنشودةً للغيومِ
لتهمي على كَتِفَي
تنقشُ اسمي واِسمَك
في الزرقةِ الغافيةْ
وتقرؤنا في السماءِ التماعَ ضياء
وأنت الذي تطلق الأفقَ
كي تصهل القافيةْ
وأنت الذي ينطق الصمتَ
في الزمن العربي
تعد اليبابَ حياةً.. وفيض سنابل
وجدب المنافي.. ضفاف وطن[1]

لقد ذكرت الشاعرة العديد من مفردات البيئة التي تنتمي لها بدءًا من العنوان: «أفق الخزامى» مرورًا في النص مثل: (بريق خزامى، همس نخيل، حداء القوافل، لون الخزامى، الرمال، الفيافي، أجنحة للحبارى، أشرعة للسفن).

(1) امرأة دون اسم، ص 92 – 94.

إنها المرأة المواطنة التي يسكنها الوطن بكل أحواله المتضادّة ومفارقاته، بأشيائه الجميلة والحزينة معًا، بصحاريه وحقوله، بجدبه وبمطره، بفيافيه واخضرار ربيعه، بيبابه وفيض سنابله، وهي تضعف كثيرًا أمام ذلك الحب مهما أوجعها، وحين ينبسط ظلّ الوطن عليها بالمحبة والسلام والضياء، تعود إليه مسرعة بكل تفاؤل وأمل وسعادة، فكل شيء حزين في الماضي.. تحول إلى بهجة وفرح.

وتعد قضية الوطن من القضايا المهمة والمتكررة في عالم ثريّا الشعري، حتى وهي تستحضر الرموز التراثية مثل صوت الشاعر عمر بن أبي ربيعة في قصيدتها: مساءلة ابن أبي ربيعة، «لتنشئ حوارًا عميقًا مليئًا بالأسئلة، فهو شاعر الغزل، الذي عرف عواطف المرأة وطبيعتها عن قرب، فعاش حياته للغزل الصريح، ومغامرات الحب والعشق، وتقمّص دور المعشوق في شعره؛ لما يتسم به من وسامة وبهاء طلعة، وهي الشاعرة الرصينة، التي حملت همّ الوطن، وهمّ المرأة وحقوقها، وجعلت العقل ميزانًا لها، لا الكحل والعطر!» [1] حيث تقول في مطلعها:

«يجاذبني الأفقُ سرّكِ.. والأسئلةْ..!

ما زلتِ.. أنتِ..

يحاصركِ الشوقُ..

والأفقُ..

والظمأ الأزلي

وكالنخلة المثقلةْ

مازلتِ لا تنحنين..

فهل ستموتين واقفةً

(1) سيمياء المطر عند شواعر المشرق العربي، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في الأدب والنقد، إعداد: أحلام بنت منصور الحميد القحطاني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية بالرياض، 1438 – 1439هـ، ص357.

وعاصفةً

وباحثةً عن وطن..؟»[1]

يسائل عمر بن أبي ربيعة الشاعرة «في مطلع النص، بعد أن جذبه سرّ إصرارها، وصمودها، وقوتها في مواجهة الحب، وكبريائها، وصبرها الذي شبّهه بالنخلة الواقفة الصامدة الشامخة، الصابرة على الظمأ، والجدب، وجميع أحوال الطقس المختلفة، فهي مختلفة عن جميع النساء اللاتي عرفهن، هي امرأة عاصفة، لا تحب السكون والصمت، ولا تموت إلا واقفة في سبيل البحث عن وطن يحتضنها»[2]، لتختم القصيدة بقولها:

حان أن تقفلي محضر النزف والأسئلةْ

لأنك حتمًا تعودينَ

شامخةً

وراسخةً بوطن

يتجذّر فيكِ

صدى اللحظة المقبلةْ[3]

فهذا النص يكشف «عن امرأة لا تقف عن الحلم، متجذّرة بالوطن، وحبّه، وواثقة بصدى اللحظات المقبلة الماطرة، والمستقبل النابض المشرق»[4]، فهو الوطن/ الحلم الذي يمثل ثيمة لا تتخلى عنها الشاعرة في أغلب قصائدها.

إن إثارة التساؤلات فنٌّ تجيده ثريا العريّض، فشعرها يتسع «للوطن وهمومه، وللمرأة وهمومها وأحاسيسها، فهي تحمل رؤية قادرة على تحريك الضمائر، وتحلم بواقع عربي جميل، ومستقبل أجمل!» [5] حيث تقول في قصيدة: الموت بالأسئلة:

---

(1) امرأة دون اسم، ص115.
(2) سيمياء المطر عند شواعر المشرق العربي، ص358.
(3) امرأة دون اسم، ص123.
(4) سيمياء المطر عند شواعر المشرق العربي، ص359.
(5) السابق، ص357.

مازلتَ تطحنُ ذاتك بالأسئلةْ

لماذا؟.. وكيف؟.. ومَن؟

ومتى؟

وحتى متى؟

ستحصد في القفر حلم وطن؟[1]

كما أن كثرة توظيفها لأسلوب الاستفهام في قصائدها، دليل على رغبتها في الكشف عن شيء خفيَ أمره، فلماذ..؟ وكيف..؟ ومتى..؟ وحتى متى..؟ ستحصد «حلم وطن»!

وفي ختام هذا المبحث يتضح أن صورة الوطن الحلم عند ثريا «تتمثل في الملامح المأساوية للذات الجمعية في مداها العربي، وقد عمدت الشاعرة إلى كسر جغرافية المكان المؤطر لتؤرخ انفعالاتها بالوقائع القريبة منها والبعيدة، وذات التأثيرات المباشرة أو الخبرية الحسية، غير أن حالات التأزم الفردي التي بدأتها صعودًا إلى الحالة العامة لم تفقد الحلم لديها بكارته ولا طزاجة التطلع فيه؛ حيث جاءت تناميات الأحداث بصورة درامية تقترب من عوالم البهجة والنهايات المفرحة، كما يحدث أحيانًا في نسيج الأعمال السينمائية؛ إذ يتجلى الأمل بالقرب من الخواتيم»[2]، وهي شاعرة تقدس الأمل والتفاؤل مهما بلغت مرارة الواقع.

****

(1) امرأة دون اسم، ص149.

(2) ثريّا العريّض والشعر، ص131، 132.

المبحث الثالث

الوطن/ الجرح

المبحث الثالث: الوطن/ الجرح

إذا كان الوطن يمثّل هاجسًا لدى ثريا العريّض في كل دواوينها، فإن الوطن/ الجرح الذي تغني فيه الشاعرة على جراحات الوطن العربي الكبير يظهر كموضوع بارز أيضًا في ديوانها: أين اتجاه الشجر..؟

وقد صرحت الشاعرة بذلك في إحدى الحوارات الصحفية التي أجريت معها؛ حيث قالت: «اخترت له من بين قصائدي الكثيرة، ما يعبر عن ثيمة إحساسي بمعاناة الوطن بكل معاني الانتماء وبرؤية امرأة، فجاء ديوان: «أين اتجاه الشجر؟»، والعنوان مستوحى من زرقاء اليمامة التي رأت الشجر يتحرك، وحذرت قومها، فلم يأبه لصدق رؤيتها أحد وكان أن دفعوا الثمن غاليًا»[1].

فزرقاء اليمامة تشكّل معادلًا موضوعيًّا لثريّا في هذا الديوان؛ عبر استعادة قصتها والتماهي معها «بدءًا من عنوان الديوان، ثم الإشارة إليها في المقدمة، وتبني صورتها في عدد من القصائد»[2]؛ إذ تقول في مقدمته: «هي قصائد عاشقة أرهقتها معاناة الرؤيا وملاحقة السراب وهجرات طيور الوطن...»[3]، وتقول: «ليست تسجيلًا للأحداث المرة بقدر ما هي تسجيل لدموع امرأة ابتليت أو اصطفيت بعيني زرقاء...»[4].

---

(1) مساءلات، إعداد: عبدالحفيظ الشمّري، صحيفة الجزيرة، العدد: 10374، الخميس 22 فبراير 2001م.
(2) قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، ج2، ص1099.
(3) أين اتجاه الشّجر..؟، ص6.
(4) السابق.

ويقول الدكتور محمد رحومة في إحدى مقالاته في هذا الصدد: «عربية أنت يا سيدتي!! ويسكنك الحلم النبيل، جئت إلينا يا زرقاء تحذِّرين، وتصرخين، رأيت ما لا يراه الغافلون، وكلنا غافل أو متغافل، يهرب من المصير، يفقأ عينيه كي لا يرى الأشجار تتحرك منذرة بالخطر القادم، يصمّ أذنيه عن سماع الآخرين، وكلنا يعجبه صوته»[1].

كما أن دائرة هموم الشاعرة في دواوينها - على الأغلب - تمتد بشكل واسع جدًّا متخطية الهم الداخلي إلى هموم الوطن العربي المحيطة بها، كما نلمح ذلك في إحدى مقالاتها؛ حيث تقول: «من أين يأتي كل هذا الشر في العالم؟ قد يستطيع البعض أحيانًا أن يغلق عينيه وأذنيه عن مآسي وعذابات الآخرين، ويركز على تأمل التطورات الإيجابية في الداخل.. ولكن سموم الواقع تنفذ عبر الجدران النفاذة لفقاعة التفاؤل»[2]، فهي لا تستطيع أن تتجاهل ما يحدث حولها في الجوار.

تقول في قصيدتها: الفاتحة، التي تستفتح بها ديوانها، بعد أن بدأتها بتوجيه عدة أسئلة إلى العربي - الذي يمثل الهمّ العام - مليئة بالتوجّس والمعاناة، وظلال الحزن والخوف:

أيها العربيّ الذي تاهت الضادُ منه
- أما احتبست نبراتُ الحروفِ
وأنكرتِ الحركات تفاصيلها ظلمةً وعنادًا؟
تئنُّ جراحًا..
ولا نأمة تتعالى لتهدي إليك مدى وارتياحًا
يجثم الآن فوقك وجهٌ شبيهُك

(1) حين غنّت الزرقاء... قراءة نقدية في ديوان: أين اتجاه الشجر..؟ للشاعرة ثريا العريض، العدد 17، الربع الثاني، عام 2000م.
(2) هموم الجوار وسموم الأخبار، ثريّا العريّض، صحيفة الجزيرة، عدد: الأحد 9 إبريل 2017م.

يأتيكَ في العتمات اجتياحًا..!

أيها المستباحُ المحاصرُ منكفئًا مطرحه

كفاك هنا غربةً تستبيك سفاحًا

كفاك نياحًا

تراوح في غبش الفجر

والنجم ما زال يرقبُ أسرار وجهك،

هل تحبس السخطَ منبجسًا في ضلوعك؟

أم تتجاسر أن تطلقه؟[1]

تسأل الشاعرة في بداية النص هذا الإنسان العربي: «هل تشتاق إلى الفجر؟! هل تبحث عن الأمل؟! إذن اقرأ كلماتي لعلك تعثر على أحزان إنسان مثلك ترى نفسك فيه، وتلتقي أحلامكما معًا»[2]، فالوقوف في ذات المكان، والنياح على الآلام والجراح لا يصنع مجدًا! ولا يحقّق حلمًا.

وتكمل ثريا:

نائمٌ أنت؟

أم حامل إثم وعيك في يقظة جارحةْ؟

تراوح ما بين بين..

يحاصرك اليوم في البارحةْ؟

حالمٌ بتباريح آفاقك الرازحةْ؟

تكبّلك اللحظات المباحة خوفًا زعافًا

---

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص12.

(2) حين غنّت الزرقاء... قراءة نقدية في ديوان: أين اتجاه الشجر..؟ للشاعرة ثريا العريض، العدد 17، الربع الثاني، عام 2000م.

وتعجز أن تتبرأ منك.. ومنه

بحلقك معترض أبدًا يتربّص شهقتك المحدِقةْ..

وشوكة رفضك ترتزّ مؤلمة الخلجات

كأمنية فاضحةْ.. [1]

فالعربي يشكو الغربة والظلمة والعناد، وتئن حروفه جراحًا صاخبة، هو مستباحٌ محاصر ومكبّل وعاجز عن فعل أي شيء، و«الحس الشعري المصفى عند ثريا يسهم في إدراك واعٍ ومتدرج لعناصر رؤية الواقع المتهدم في شتى جوانبه، مثل: التأزم، التقهقر الحضاري، التصفيد بالتقاليد...» [2]، وهي عبر قصيدتها تدعو إلى نهوض الهمم، إلى تذليل الصعاب، إلى تطويع الأصوات، فالتاريخ حافل بقصص مشابهة، واستطاعوا أن يصنعوا المجد بالإصرار والعزيمة والعمل.

إلى أن تقول:

لك الآن أن تعبر الموت نحوكَ.. تعتنق الحلم

تفتح للصوت طاقاته المطلقةْ

على قمة الصبح تبصره يتمادى

اغترف منه فاتحة الفجرِ

كي تتوضّأ مغتسلًا من همومك

قفِ الآن محتفلًا بقدومك..

واقرأ المتيسّر ممتشقًا منطقه..

لك الآن أن تتمرّى بكل المساحات جاهًا وضادا

---

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص13.

(2) ملامح البناء الشعري وخصوصياته في ديوان (أين اتجاه الشجر) للشاعرة: ثريّا العريّض، خالد زغريت، صحيفة الجزيرة، عدد: الأحد 5 ربيع الثاني 1420هـ. (بتصرف)

لغةً تتعالى.. تكبّرُ

تحملك الآن للقمة الشاهقةْ[1]

هي دعوة من الشاعرة توجهها إلى كل إنسان عربي، فلا بد من عبور الموت واعتناق الحلم؛ ليرفرف الضاد فوق القمم الشاهقة، فهي ترى مكان الوطن العربي هناك، في الأعالي، وفي مقدمة الأمم، و»هي المرأة الواثقة من رؤيتها، القادرة على تحريك الضمائر، وإعادة نبضها من جديد، هي تملك سحر الكلمة، ونقاء المعنى، وطفولة الحرف»[2] فلا شيء ينقص هذا الوطن الكبير سوى الإيمان والعمل.

وفي قصيدة: أين اتجاه الشجر..؟ التي تحمل الهمّ العربي على امتداد الوطن العربي الكبير، تعزف ثريا على جراحات هذا الوطن، عبر تقمّص دور زرقاء اليمامة، ولبس عباءتها:

هنا في المتاهات حيث وقفتِ

وقفتُ أنادي

أبناء أمي شتات يبعثرهم كل وادي

فأين بلادي؟

باسمك ناديت هل تعذريني؟

حروف من النار فوق جبيني

وصوتك يشرخ صدري

يمزّق حلقي

دعيني أنادي به

أعتقيني[3]

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص14، 15.

(2) حين غنّت الزرقاء... قراءة نقدية في ديوان: أين اتجاه الشجر..؟ العدد 17، الربع الثاني، عام 2000م.

(3) أين اتجاه الشّجر..؟، ص31.

وأستطيع أن أبين المعنى عبر هذه الخطاطة:

هنا في المتاهات (حيث وقفتِ) ← زرقاء اليمامة

(وقفتُ) أنادي ← الشاعرة ثريا العريض

↓

(أبناء أمي)

↓

شتات يبعثرهم كل وادي

↓

فأين بلادي؟ ← **(الوطن العربي الكبير)**

(باسمكِ) ناديت هل تعذريني؟ ← باسم زرقاء اليمامة عبر تقمص شخصيتها في زمن آخر

حروف من النار فوق جبيني + وصوتك يشرخ صدري + يمزّق حلقي

↓

دعيني أنادي به

↓

أعتقيني

تبدأ ثريا بالنداء لمنادى مشترك بينهما، فالقوم الذين تناديهم الشاعرة هم أحفاد زرقاء اليمامة:

أنادي.. وقومك لا تستفيق

وإرثُك همٌّ محيط محيق

لا أحتويه ولا يحتويني

أصيح بِاسمك

.. يا ليتهم سمعوني..

: «أرى شجرًا يتدانى إلينا
هشيمًا تخطّاه وعدُ المطر
أرانا نمدّ إليه يدينا
فيأكلها جمر ذاك الشجر
أرانا وأعيننا مطفأةْ
تضيّعنا عتمات البصر
فمن يشتري بصري؟
يشتريني؟
ويدفع عنا بلاء الخطر؟»[1]

استعارة صوت زرقاء اليمامة

كفى يا امرأة
كفى يا امرأة
ترين الذي لا يُرى
«تحت الثرى
وفوق الثرى
وخلف امتداد الوهادِ
وعري الذرى»[2]

رد قوم زرقاء اليمامة عليها حين رأت الأعداء

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص32.
(2) السابق، ص33.

أنادي كما أنت ناديتِ
لهفي عليكِ
ما صدّقوكِ
وها أنا باكية وبنوكِ
يبيحون آذانهم للرياحِ
ولا يسمعون النشيج
تبرعم أشواكهم في البطاحِ
وتزهر إذ ترتوي بالضجيج
على الجمر أخطو
وأرفع فوق المدى قامتي فأرى
ولكنني حين أخبرتهم ما أرى
رجموني[1]

الرد على نداءات ثريا مشابه لرد قوم زرقاء

وأقف هنا على مقالة للشاعرة بعنوان: شوارد – أين اتجاه الشجر...؟ تكشف فيها عن ملامح النص، وتقدم تفسيرًا لسطوره:

«... **ولو نقشت على الصفصاف نوع دمي**
لجاءت الريح غير الريح في الصفصاف
والصفصاف يتقد...»

محمود درويش

أنا أيضًا حاولت يومًا نقش نوع دمي على نخلة خليجية... فنفضت حروفي مع الريح إذ جاءت الحروف أوسع من مدى العذوق الخديجة.

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص33، 34.

ومضيت هائمة مع «فاختة» اليمامة الخليجية المفجوعة بفقد صغارها أهدهدها وأبحث بعيني زرقاء عن عش لها في مدى الشجر العربي... ولم أجد...

كل الشجر العربي غير قابل لنقش فصيلة دمنا على أوراقه المتحركة... أن تحمل هوية العشق العربي اليوم... يعني أن تحمل الشارة القرمزية موشومة في الملامح الناطقة الصمت... يعني أن تحمل وصمة الإرهاب والشقاق والفصام والتطرف والتأرجح بين الجبن والتهور والقسوة والخوف... وأن تعيش القلق وازعًا يوميًّا في شوارع أي قارة يجتاحها غبار قدميك... وها أنا عند أوراق شجر بعيد... على حافة الأفق... أسأل مرة أخرى:

لكل طريق علامةْ

فأين اتجاه الشجر؟

تخضب أوراقه صفرة الموت

أين اتجاه السلامةْ؟

وأين اتجاه الوطن؟

وأين تباع التواريخ

كي نشتري وطنًا وزمن؟

ومن سيطالبنا

- حين نحرق أحلامنا - بالثمن؟»[1]

فهذه القصيدة صالحة لكل زمن عربي؛ إذ تطغى فيها مسحة من السخرية والتهكم من خلال الأسئلة التي تطرحها، فهي تريد أن تشتري وطنًا وزمنًا.. فهل ثمّة تواريخ تباع؟ وهل لو أحرقت أحلامها سيأتي من يطالبها بالثمن؟[2]

(1) شوارد - أين اتجاه الشجر..؟ ثريّا العريّض، صحيفة الحياة، العدد: 58، 8/ 3/ 1993م، ص76.
(2) يُنظر: ثريا العريض شاعرة، ص124.

وتكمل ثريا قصيدتها الطويلة بطول الألم، والممتدة بعمق الجرح:

تفقّدت آفاق قومي

وأزمانهم

فعدتُ أجرجر حزني العتيق

ويفلت مني زمامه

ويذكرك القلب.. زرقاء..

موصومة في اليمامةْ

تثيرك ولولة في الخليج

وترجيع أصدائها في تهامةْ..! [1]

تستذكر ثريا صورة زرقاء اليمامة، وتستحضر الزمن الماضي وكأنه اليوم، فيثيرها أي صوت مرفوع بالبكاء أو العويل في الخليج، ويثيرها ترجيع صداه في جبال تهامة، هذا على مستوى الجزيرة العربية، لكنها لا تكتفي بالهمّ الداخلي، فثريا «تنتمي إلى وطن بدائرته الواسعة يغصّ بالمآسي والأحزان»[2]، فتجوب بعيني زرقاء – التي ترى ما لا يُرى – المنخفضات شمالًا وجنوبًا بأجنحة محلّقة، وصوت عالٍ تحذّر به قومها:

بعينيك جئت الوهادَ

شمالًا جنوبًا مجنّحة صائتةْ

ترفرف في أضلعي «فاختةْ»

تعض على جرحها

وتجثم خائفة صامتةْ

ترى بعيوني

---

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص35.

(2) ثريا العريض شاعرة، ص19.

وتهمس حين ترى ما أرى:

أي طيف تنادي

وراء انكسار الذرى

وانشطار البوادي؟

هل تبقّى من الأمس أيّ ورى؟

أين صوتك يا فاختةْ؟

أرى شجرًا يتدانى إلينا

وبحرًا من الجمر نشعله بيدينا

وأنت بعينيّ تهمين صبحًا مساء

قضينا.. قضينا[1]

تمتلك ثريا البصيرة وهي قوة الإدراك والفطنة تلك التي كانت عند زرقاء حين حذرت قومها، وليست قوة البصر فقط، لتعيد العبارة ذاتها، ولكن في عصر آخر: «أرى شجرًا يتدانى إلينا» هذا هو الخطر الخارجي، أما الخطر الثاني فهو من الداخل: «وبحرًا من الجمر نشعله بيدينا» فثريا تلبس قناع زرقاء، وتخاف أن تؤول إلى ذات المآل، فلم يغب عنها تحذيراتها المتواصلة لقومها دون جدوى!

وتبرز صورة الوطن الجريح أكثر في هذا المقطع؛ حيث تقول:

أنّى تنامين يا فاختةْ؟

غداة مررتِ ببغداد

هل عاتبتك عيونٌ حيارى

وأفزعكِ ليلها المستعد؟

نفرتِ بحزنك نحو الخليج

بشطآنه وجع وكمد تفيض همومًا ونارًا

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص36.

وأبناؤه عبثًا تحتويها؟

إلى أين تمضين يا فاختةْ؟

منابع حلمك قد غاض منها الشجر

وأعشاش أمسك لم يبق منها أثر

عشك في القدس قرّ به العابرون الجدد

بيروت؟ تنبض تحت الرماد

وأرزاتها تتقد

ونخل الكويت؟

كأبراج بغداد..! نازفة تعتفر..!

دمشقُ يراودها الغرباءُ

فتنكر إخوتها وتصدّ

وفي القاهرةْ؟

تنام الملايين مسحوقة خائرةْ

وتحلم بالسندباد

يجوب البلاد

فتصحو مزمجرة هادرةْ

طرابلس..؟ تغلي..!

الجزائر؟.. تحسب أبناءها وتعدّ..!

بكل البلاد.. الصبايا.. النساء

تشقّ ملابسها وتحدّ..! [1]

إذ «تتوحّد الشاعرة مع الوطن العربي، وهمومه، والظلم الذي يتعرض له، فتذكر البلدان التي تعرّضت للمآسي: (بيروت والحرب الأهلية بالإضافة للاحتلال

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص37، 38.

الإسرائيلي، الكويت والعراق وما حدث بينهما، بغداد متمثّلة في العراق وحربها مع إيران، القاهرة والاستعمار الذي تعرضت له، والجزائر والاستعمار الفرنسي) فالقاسم المشترك بين هذه البلدان الصبايا والنساء اللائي يلبسن الأسود حدادًا على قتلاهن»[1]، والوجع والكمد والهموم الممتدة على شطآن هذا الوطن وعلى أعشاشه وأشجاره.

هذه الوطأة التي أثقلت كاهل الأوطان العربية، وأعاقتها عن النمو والتقدم، تضني الشاعرة وترهقها، وسيان لديها أكانت تلك الوطأة خارجية أم داخلية، فالأهم من ذلك اتحاد العرب في مواجهة تلك الفجوات الآخذة في التمدد والعمق وردم هوّاتها، ومقاومة تحدياتها[2].

وتصل ثريا إلى المحيط وجبال أطلس؛ لتستحضر من التاريخ قصة طارق بن زياد وحرقه للسفن، فالجبال تشتاق وتسأل عن رجل مثله.. ولكن لا جواب لاحتدام الأسئلة، فمثله غير موجود الآن:

حتى المحيط بأمواجه يمور شقاء
حتى الجبال
أطلس مثلك محتدم بالسؤال
يسائل عن طارق ابن زياد
ما كان بعد حريق السفن؟
وهل سيعود ليبني المدن؟
أين صوتك يا فاختةْ؟
وأين وجوه بنيك التي لم تعد؟
متى سيتم اللقاء وما سيجدّ؟

(1) ثريا العريض شاعرة، ص28.
(2) يُنظر: شعر المرأة السعودية المعاصر: دراسة في الرؤية والبنية (1383 – 1423هـ)، ص292.

«يغنون أسماءهم للرياح
فتبقى مراكبهم في سفر»
تعيدين رجع السؤال برجع السؤال
ولا من يردّ[1]

وتكمل ثريا في إحدى مقالتها معلقة على هذه القصيدة، ومؤكدة أنها لا تحمل هم وطنها وحده بل هو هم جمعي شامل لكل أوجاع أمتها: «يؤرقني أبدًا همس الشجر لزرقاء اليمامة... وفي حفيف نخل الخليج أحلم أن تجد اللغة من ينقش صبوة دمنا على أوراق الشجر العربي... هنا... حيث أقف... تراودني غمغمة النخيل الصادية... أو هناك... حيث تقف يا قارئي... يترامى الصدى في ترجيع نهنهة الصفصاف الباكي أو غمغمة الأرز المهجور... أو حتى وشوشة السرو للحور للزيزفون عند بوابات الجامع الأموي أو جامع الكتبية أو الجامع الأزهر أو دار الحكمة...»[2].

وهي مثل من سبقها تنتظر قدوم الشخص/ البطل الذي يعيد الأمل، ويحقق الحلم:

أي أسماء نذكر عند الكرى
كل تاريخنا كان شوقًا
إلى جبهة لبطل
ومنتظر سيصل
يطل غداة انهمار المطر
ويزرع في أرضنا وجهه والشجر
يجرد في العاديات حسامه
ويحمل فوق الجبين حمامةْ...

---

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص39.
(2) شوارد – أين اتجاه الشجر..؟، ص76.

فلماذا تظل العيون خواء...؟

من يشتري للملايين حلمًا...؟

ومن يفتديها... إذا حلمها يستبد؟

أسائل «فاختة» عن بنيها

فتهتف: يا ليتني لم ألد!» [1]

وتكمل ثريا:

من مزّق الحلم يا فاختةْ؟

وكبّل صوتك في الصدر تحت كمامه

وكبلني في تباريح هذا الكمد؟

أنا اليوم «زرقاء»

عيني أمدّ خطاها

وأرحل في صوتها وأجدّ

لأبحث عن فرحة أرتديها

وأعلم أني – كزرقاء – لا أرتجيها

يجفّ بحلقي النداء

وما من عزاء

يطالبني الجمع أن أتغاضى

وأنضمّ صامتة لصفوف الكفيفين

أو أبتعد!

أأطفئ عيني؟

أأطفئ عيني؟

---

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص41.

وتبقين لاهثة في الضلوع.

مكمّمة.. للأبد؟[1]

تطرح ثريا في ختام نصها عدة تساؤلات تفيد الاستنكار، «فزرقاء اليمامة التي كانت ترى الذي لا يرى، وترى من مسافات بعيدة نجدها حاضرة في ذهن الشاعرة، فهي تقف وتنادي أبناء الوطن العربي الذي مزقه الاختلاف مثلما نادت زرقاء اليمامة قومها، ولكنها تعرضت في آخر أيامها إلى السخرية منهم، فوظفت الشخصية وما صاحبها من أحداث في قصيدتها»[2]، فلم يُلتفَت إلى بصيرتها وحدسها ورؤيتها للخطر القادم الذي لم يُرَوه قومها.

إن الشجر الذي قصدته ثريا «كله شجر حي يتحرك حفيف ظله الصامت في شرايين العشق العربي... ويحترق في التشظي العربي... يتخفى وراءه ألف وجه مقنع بسحنة ابن عم عربي... أو غير عربي... معًا سنتابع... في مرايا الزرقة وغبش فجر الحقيقة... تحركات الشجر»[3]، نعم هو الأمل المتجذّر في روحها رغم الألم والجراح النازفة.

وتظهر ملامح الوطن/ الجرح بأقوى معانيها في قصيدة: وطني.. وطني، التي كتبتها بعد غزو العراق للكويت:

أرشّ على الجرح ملحًا..

ونارًا..

ويبقى النزيف

وطني.. وطني

دمًا قانيًا تتفجّرُ

---

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص42، 43.

(2) ثريا العريض شاعرة، ص93. (بتصرف)

(3) شوارد – أين اتجاه الشجر..؟ ص76.

إذ تتوالد فينا البسوس

وآتيك أحمل سيرتك الغاضبةْ..

مسيرتنا.. جريرتنا الأرض

خفِّف خطانا عليها

أي أسطورة تلك يا وجع الأرض؟

من يعدّ خطانا عليها؟

خطوة للأمام.. خطوة للوراء

نراوح لا نحن نمشي..

ولا نحن قيد انعتاق الوقوف[1]

إن «عنوان القصيدة وإيحاء العنوان الاختصاصي الذي نستشفه من تكرار كلمة: «وطني» وإسنادها إلى: ضمير المتكلم، قيمة تعمدت الشاعرة إلى أن تجعلها إرهاصًا في ذاكرة المتلقي ومن ثم تنطلق إلى نقض هذا الإرهاص، أو تقويضه، أو تعتيم صورته من خلال نص القصيدة ومن خلال توالد دلالاتها تدريجيًّا أحيانًا وعشوائيًا انفعاليًا أحيانًا أخرى»[2]، فالشاعرة تترجم هذا الحدث المؤلم بمشاعر عميقة، وتتناوله بطريقة مختلفة عن السائد، وغير مستهلكة لدى المتلقي.

وتبدأ قصيدتها بمفردات تحمل معاني سلبية تدل على الحرب والقتل والجراح، مثل: (الجرح، ملحًا، نار، النزيف، دمًا قانيًّا، تتفجر)، وتستحضر من التاريخ قصة حرب البسوس، إشارة إلى أن الجاهلية مازالت ممتدة وموجودة في أبناء هذا العصر، وتتناص أيضًا مع قصيدة أبي العلاء المعري الشهيرة التي يقول فيها: «خفّف الوطء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد!» وهو تناص مع معناها الفلسفي وفكرِه في الموت والحياة.

---

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص53، 54.

(2) ثريّا العريّض والشعر، ص47.

وتستثمر ثريا الصورة البصرية في نصوصها؛ إذ «تكمن في التقاء الملح مع النار، فالملح يساعد على زيادة الاشتعال، ويظلّ النزيف مستمرًّا، ونجد لونين في هذه الصورة اللون الأحمر لون الدماء، واللون الأبيض لون الملح، فالصورة البصرية نقلت الواقع المؤلم الذي تعيشه الأمة العربية»[1] وأسهمت في توضيح المعنى.

ثم تذكر في هذا المقطع سبب ألمها في مقدمتها القانية:

قل هو الصمت

والشوك منغرسٌ في حناجرنا

وجعٌ أنت يا وطني

تتحدّر حتى الشرايين

منهمرًا بلهاث الألوف..

«ذاك الذي يجهضون بوادره.. وطني

والذي يضرمون الهشيم المعدّ لإحراقه.. وطني

.. والذي يتصاعدُ صرخة حزن بلا نأمة.. وطني

يتجرّع أحلامه ويغصّ بأشواكها

يموت من الوجد..

ثم يموت من الوجد..

ثم يبعث كي يتذكر سيرة آلامه.. وطني!»[2]

إن الوجع الذي شعرت به ثريا إثر غزو العراق للكويت أكبر من الكلام، فشوك الألم منغرس في الحناجر! ووجع الوطن متحدر في الشرايين! فاختارت الصمت تعبيرًا عن هول صدمتها.

---

(1) ثريا العريض شاعرة، ص149.

(2) أين اتجاه الشّجر..؟، ص55.

هل ستفيد لغة الكلام؟ وعن أي شيء تتحدث؟، وهي ترى بعيني زرقاء كل المؤامرات التي تحاك ضد وطنها، فـ «حالة الذهول مغروسة في جو النص بواقعيته البعدية ووحداته المعنوية، وتبقى حقيقة الوطن/ الانتماء قناعة مغروسة فينا في خضمّ الآلام والأوجاع ومرارتها، ولأن الألم الذي ينغص على الشاعرة ويملؤها كان حالة تسكنها، ونبضًا تحياه، وروحًا تعيشها: إنه وطنها»[1]، ذلك الممتدّ في الدماء:

وطني

ذاك الذي يجهضون بوادره..
والذي يضرمون الهشيم المعدّ لإحراقه..
.. والذي يتصاعدُ صرخة حزن بلا نأمة..
يتجرّع أحلامه ويغصّ بأشواكها
يموت من الوجد..
ثم يموت من الوجد..
ثم يبعث كي يتذكر سيرة آلامه..

وتستنكر ثريا في صمت صاخب، ووجع متوغل، وحروف نازفة حادثة غزو العراق للكويت، فهل الراحة في السطو على الجار واقتلاع عيون الأشقاء؟

ما تبقى بنا سوى هاجس لصرير النواجذ
وجعًا تتوغل في الحلق شوكته الناشبةْ
وترتدّ سيرتنا في الحلوق
تعيث بنا أحرف غاصبةْ
ألا نستريح سوى أن نمدّ أصابعنا
لاقتلاع عيون الأشقاء؟
نعمى معًا؟
ويلغي تواريخنا هاجس لصرير نواجذنا[2]

(1) ثريّا العريّض والشعر، ص51.
(2) أين اتجاه الشّجر..؟، ص57.

إن «حالة الوطن العربي تدعو إلى الحزن، فالتواريخ ملغاة، ولم يعد لنا إلا الوقوف على الأطلال حتى أن نواجذنا أصبحت تصدر صوتًا مزعجًا يعكس الحالة النفسية التي يعيشها الإنسان العربي، ولقد أصبحنا نسمع هذا الصوت بسبب الصمت المخيم»[1]، فكيف إذا جاء هذا الوجع من الشقيق والجار؟! هو ألم مضاعف بلا شك.

وتكمل بذات النزف والوجع مستحضرة قصة يوسف وإخوته وتأويل الرؤيا:

هذا يخاتل جوهرة الأرض..
والأرض جرح رهيف
وذاك يعض على جرحه جائعًا للرغيف!
ويسأل يوسفُ:
«أختاه.. إني حلمتُ بأرضيَ
تغرق في فيضان دماء
فمن سيطهرها..؟»
ويحنا اليوم يوسف
تلتهم الآن سنبلةُ القحط أحلامنا
لا فرق بين سنين الإخاء
وسنين الدوار العجاف!
ورثنا عمى اللون..
لا فرق بين دماءٍ.. وماء!
كم من اللحظات يظل التلوث.. قبل الجفاف
وتبقى بوصمتها الحربُ
تسكن أعيننا والأنوف؟

(1) ثريا العريض شاعرة، ص153.

وكيف نرى يا قبيلة يوسفَ

نحن المحاطون بالصمت والخوف والإِقتراف

وضباب الكلام الكثيف؟[1]

إن هذا التناص مع الآيات القرآنية في سورة يوسف صوَّر الحالة البائسة التي يعيشها العالم العربي، فاستحضرت الشاعرة قصة يوسف والحلم الذي فسره للملك، ووظفته بأسلوب ساخر، فلم يعد بيننا شخص قادر على التأويل والإبداع في تفسير الأحلام، بعد أن فُقدت القدرة على حل القضايا دون إراقة الدماء، وهذا التناص قد منح القصيدة أبعادًا جديدة[2].

ورغم وضوح الكثير من الأمور، فإن العناد والرفض يظلان كشوكة في حلق التوحّد والتآخي كصف واحد تجاه الأعداء:

لنا حدقات المآقي.. ونرفض كل الرؤى

أم هو الدم يرفض إرث توحده

ويعيا بحمل تشرده

نازفًا.. نازفًا أبدًا

في انهمار مخيف؟[3]

وتستثمر دلالات قصة قميص عثمان (رضي الله عنه) في سعي البعض لتحقيق الباطل بما يبدو حقًّا:

قميصٌ لعثمانَ.. ما زال سرّ التمزق فينا

الكويتُ.. الكويت

العراقُ.. العراق

---

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص57 – 59.
(2) يُنظر: ثريا العريض شاعرة، ص78، 79.
(3) أين اتجاه الشّجر..؟، ص59.

أظلّ لنا أي حلم يُطال؟

أيّ زيف يُعاف؟

وكل الحوار هباء هباء

والزمان احتراق

فلماذا إذن نتناثر في الإرتطام شظايا..

وتبقى بنا تواريخُ ذاكرة الرحم حقدًا يُراق؟

ولمع سيوف؟

أنصنع طاغيةً من رغام اشتياقاتنا

وزيف تفاصيل أصدائنا وانسحاقاتنا

ونصرخ حين يمزّقنا في انتهاكاتنا

خُدعنا.. خدعنا.. بإسم الإخاء؟[1]

فقميص عثمان في هذا النص يشكّل رمزًا للحجج الباطلة التي قادت العراق إلى غزو الكويت[2]، وهذه الحادثة أسهمت كثيرًا في رسم صورة الوطن/ الجرح في شعرها.

وتكمل ثريا:

وطنٌ أنت؟

يا شجنٌ نحتويه ولا يحتوي كلّ آهاتنا

كل عاهاتنا

جسدٌ مزقته خناجرنا

ولا ترس يمنع

آه الكويت.. وآه العراق

---

(1) أين اتجاه الشعر..؟، ص60.

(2) يُنظر: ثريا العريض شاعرة، ص134.

أظلَّ بأحرفنا ما يُقال..؟

بأوزارنا ما يُطاق..؟

إخوةُ نحن؟

بئس الإخاء وبئس النفاق

يوسف يعرف والذئب منه براء

وعثمان أيضًا..

وللنازفين دموع التماسيح

يبقى صليل الحروف.

وجعٌ يحتوينا

ويلفظنا ركام حوارٍ تقطّع

ذاكرةٌ؟ أهذا هو الحلم؟

قابيل يقتل.. قابيل يقتل؟

هابيل يبعث ينفض جثمانه

ويلبس إكليل غار

ينهض من أكمات الغبار

وبصمتٍ مريرٍ ندبّج أنشودة للوطن

ليرسمه في تضاريسنا سيرة للشجن

أحرفًا تُشترى وتباع

لمن؟.. ولمن؟.. ولمن؟

ومن سيعيد كوابيس هذا المسار السخيف؟

ويطلقنا في انعتاق الزمن؟[1]

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص61 – 63.

يبدو حجم الأسى، والألم، والجرح، والصدمة واضحًا في سطور هذا النص: (آه الكويت.. وآه العراق، أظلَّ بأحرفنا ما يُقال..؟ بأوزارنا ما يُطاق..؟ إخوةُ نحن؟ بئس الإخاء وبئس النفاق) فالكلمات تعجز عن وصف ما حصل، والعقول تأبى أن تصدق أن الطعن يكون بخنجر الأخوة؛ «لذلك استحضرت قصة يوسف والذئب، فأخوة يوسف لم يراعوا رابط الأخوة بينهم، فاتهموا الذئب بأنه أكل أخاهم لكي يتخلصوا منه، وكذلك قصة عثمان (رضي الله) عنه الذي قُتل بسبب الاختلاف بين المسلمين»[1].

وتستحضر كذلك في ذات السياق قصة قابيل وهابيل؛ حين اتبع قابيل هوى نفسه بعد أن زيّنت له قتل أخيه، فكانت أول جريمة ظلم في التاريخ.

ويظلّ غزو العراق للكويت قلقًا فكريًّا وهاجسًا غير قابل للتصديق عند الشاعرة، أسهم في تصوير الوطن الجرح في شعرها، فلا تملك إلا الصمت الحزين، وإطلاق سيل التساؤلات الاستنكارية، ومع ذلك فـ «القصيدة ليست نقلًا صوريًّا للانفعال التجريدي التلقائي للمعاناة المشتركة والهمّ الكوني العام! بل إنها اكتشافات متفاوتة لمكونات ذلك الهم، وذراته الدقيقة المبثوثة في الإحساس عبر أنساقها التعبيرية والدلالية»[2].

كما نلحظ تكرار لفظ: «الوطن» في أغلب مقاطع النص، إضافة إلى العنوان، وهذا يحمل إيماءات الأرض والانتماء الحميم لها، كما يدل على الوطن الكبير في بعده القومي كذلك، والأمن والحنان في البعد الشعوري، إضافة إلى كون الوطن قضية وجود للإنسان موقفًا ورؤية وروحًا[3].

(1) ثريا العريض شاعرة، ص27.
(2) ثريّا العريّض والشعر، ص47.
(3) المصدر نفسه، ص48.

وفي قصيدة: الموت في الساعة التاسعة، التي تشير من عنوانها إلى نشرة الأخبار اليومية التي تذاع عند الساعة التاسعة، وثريا مولعة بمتابعة الأخبار كما تخبرنا عن ذلك في مقالاتها وحواراتها: «أمست نشرات الأخبار جزءًا من روتين يومي، وجبة تحمل كل المذاقات، يتزايد فيها جانب المرارة منذ فاجأتنا عواصف الربيع العربي وتفجر دمويتها»[1]، تقول في قصيدتها:

كل الإذاعات تغتال يومك

في نشرة الساعة التاسعةْ

تلعلع منعطفات المدن

وفي الصمت نمتشق الصوت من غمده

ونرتجل الضحك جرحًا يرن

يقولون يا وطني

فيك دفء جذور الحياة

يقولون!

.. لكنني لا أرى

غير صمت اللغات بنا في منافي الشتات

وانتحار النشيد

كلّ اخضرارك بين الخليج الحزين

وذاك المحيط البعيد

مدى للكوابيس

ما أوحش الحلم إذ يستباح

شريطًا ليوم بغيض[2]

(1) صوفيا ومكافحة الألم، ثريّا العريّض، صحيفة الجزيرة، عدد: الثلاثاء، 14 نوفمبر 2017م.
(2) أين اتجاه الشّجر..؟، ص65، 66.

إن أوجاع وجراحات الوطن العربي الكبير من الخليج إلى المحيط البعيد، ملأت روحها بالحزن والألم، مثلما امتلأ المدى بالكوابيس بدلًا عن الأحلام السعيدة.

وتكمل ثريا معددة ما استطاعت من أسماء الدول العربية، فالموت واحد، وإن تعددت وتكررت الصور:

نصلي.. ونسلم أرواحنا للمزيد

هو الموتُ في صور تتكرّر

آه من الحلم.. نسرق أحلامنا

من قواميس أمس مجيد

وخلف اهتراء القواميس

سيل الهجاء الرثاء الغناء البكاء

تباريحنا والمدن..

تشمت عمّانُ

تنشج بيروتُ

تسغب بغداد

تسأل تونسُ شط طرابلس:

من سيموتُ؟

وترسل غزّة آخر أخبارها

حذافير أحجارها لا تفلّ الحديد

ولا تستعيد البيوت

ولا من جديد

من الموت للموت

جسر طويل مديد

وما من جديد

يهدّئ غمّ المسافر في الحزن

بين الرباط، المنامةْ

يمرّ بسرت، أغادير، برّ الصعيد،

دمشق، البقاع، تخوم تهامةْ

تراوح في أمسها حضرموت

وترعد صنعا

وتشكو عدن

«بمأرب كان زمانٌ سعيد..!»

وحالت جفافًا نخيل اليمن

من الماء للماء دمعٌ يفيض

ونوح الثكالى ملامةْ[1]

وتقود الهموم القومية الشاعرة إلى سطور أشبه برحلة على الوطن العربي، والمرور بمدنه، فالضعف الذي وصلنا إليه جعلنا نستسلم للموت ونعيش على أمجاد الماضي، والرابط بين هذه المدن هو الموت الممتد كالجسر بينها، فلا يكاد يخلو مكان من الهم والمعاناة والألم والجراح[2].

وهي تتوجع أمام نشرات الأخبار وأحداث الحاضر؛ حيث تقول: «تداعيات الصراعات تملؤني بمشاعر مؤلمة، كل صورة لطفل التهمت الألغام أطرافه يبكيني، وكل خبر عن شهيد يخرّ يذكرني بأحزان أبويه وزوجته وأبنائه»[3]، فهي شاعرة وإنسانة تحمل همّ الوطن:

---

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص68، 69.

(2) يُنظر: ثريا العريض شاعرة، ص30.

(3) صوفيا ومكافحة الألم، عدد: الثلاثاء، 14 نوفمبر 2017م.

شبعنا وقوفًا بكاء

على طلل ومحن

فكل الرواسخ قهرًا تميد

وكل النخيل انكسارًا تئنّ

تزلزلنا في هدوء البيوت

في ربكة الساعة الموجعةْ

كأن العروبة حمل كفن

كأنك.. تغتالنا بوجودك في القلب

يا وطنٌ لم يهن

كأنك موتٌ يطاردنا

وفي النسغ نصل الجليد

يجادل في القلب صبرًا يغيض

والقلب همٌّ ووهم وطن

هنا في تقاطيع أصدائك الذائعةْ

تفاصيل أخبارك اللاذعةْ[1]

إن فعل الوقوف على الأطلال والبكاء عليها في زمن الشاعر الجاهلي، لم يعد يجدي في هذا الوقت الذي تعاظمت محنه وأوجاعه، حتى تحركت الجمادات؛ فالجبال الراسية تتحرك من القهر، والنخيل تئن كالإنسان، فليس هناك إلا أخبار الموت والفناء.. وكأن قدر الوطن العربي أن يُحمل كل ليلة على كفن.

إن هذه النشرات الإخبارية تلعب دورًا كبيرًا فيما تكتب ثريا، كما أن لها القدرة على تعكير مزاجها وهدوئها، فهي وقصائدها انعكاس لكل ما يرد فيها من جراح.

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص70.

وفي قصيدة: الوجوه، التي تعبر عن تداعيات جندي في كوابيس حرب أهلية، وتحمل حيرته وتساؤلاته:

حواليّ كل الوجوه سواء

بأقنعة الحرب يلتاث فيها الخواء

عيونٌ تحجّر فيها الإخاء

شفاهٌ تيبس فيها الغناء

وجوهٌ بنفس الملامح..

نفس الغضون

تموج بنفس التخوّف.. نفس التطرّف..

نفس الجنون

كلها خائف ومدجّج

كلها مستثار مؤجّج[1]

تبدأ ثريا هذه القصيدة بوصف وجوه الجنود المحاربين، فكلها متشابهة، تلبس أقنعة الحرب الملتاثة بالوسخ المعنوي والحسّي، فارغة لا تحمل أي معنى أو هدف، خالية حتى من الإنسانية، فالعيون متحجرة، والشفاه جافة لا شيء فيها إلا الموت.. فلا غناء ولا دفء، كما تشترك هذه الوجوه بذات ملامح الخوف والتطرف والجنون.

وتكمل ثريا ناثرة تساؤلاتها الاستنكارية على لسان هذا الجندي:

حرب من هذه الحرب؟

أين استهلّت؟

وكيف استمرت؟

أهي حربي أنا

بأرضي أنا تتأجّج

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص77، 78.

.. لماذا بأرضي؟

أصرتُ العدوّ أنا؟

وبعضي يقاتل بعضي..!

أنا غرسة الحب

يهدر حلمي أوار المعارك..

فكيف وقعتُ بهذا الأتون؟

وكيف أواجه هذا الجنون،

حرب من هذه الحرب؟

كل هذي الألوف تشارك

تنفخ أبواقها وتبارك

من يحارب من؟

ولأية غايةْ؟

من ترى أشعل النار عند البدايةْ؟

ودوري أنا ما يكون؟

هل سأبقى هنا أتفرج؟

والحرب تأكل أرضي وعرضي

هل ستمتصني في النهايةْ؟

هل سأشارك؟

أحمل سيفًا وأرفع رايةْ؟

أكرّ كما يفعلون؟

أكر على من؟

على من سأقضي؟[1]

---

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص78 – 80.

لمن هذه الحرب؟ ما اسمها؟ من أطرافها؟ ما غاياتها؟ كيف ابتدأت؟ وكيف استمرت؟ هل هي بأرضي؟ وهل صرت أنا العدو؟ أيعقل أن أحارب نفسي وأهلي؟... أسئلة كثيرة لا تنتهي صاغتها الشاعرة بروحها على لسان الجندي في ساحة الحرب.. ولا من إجابة سوى أنها متأكدة أن بداخل كل جندي غرسة الحب، والإنسانية، والحلم، ولا يدري كيف زُجّ به في مثل هذه الحروب الأهلية؟ ولا تدري ما دورها هي؟ هل تتفرج؟ هل ستمتصها؟ هل ستشارك أم تحجم؟ وإن شاركت على من سترفع سيفها؟

فـ «تلك سياسة الحروب، الرابح فيها من غير قضية عادلة خاسر على كل الأحوال، وتتفاوت المكاسب بمقدار ما يُحد من الخسائر، والضحايا المباشرون الأكثر ضيرًا هم الأفراد سواء أكانوا شعوبًا مقهورة، أم جنوادًا مأمورة»[1]، وهذه الأسئلة المتزاحمة المتداعية، تعمق دلالات الحيرة، وتؤكد استنكارها لمثل هذه الحروب الأهلية التي يحارب فيها الشعب نفسه وأهله وإخوته ودمه.

وتكمل:

كلهم غاضب يتحجّج

كلهم يهتفون

نفس الشعارات.. نفس العبارات

«عاش الوطن»

كلهم يلبسون كفن

واحدًا واحدًا يسقطون

ولماذا يموتون

هل سيبقى وطن

إذا مات كل الرجال

(1) شعر المرأة السعودية المعاصر: دراسة في الرؤية والبنية (1383 – 1423هـ)، ص299.

ولم تبق إلا الجبال

وحزن النساء بليل الشجن؟[1]

إن المستغرب في مثل هذه الحروب هو ترديدهم للشعارات ذاتها؛ فكلهم ينتمون إلى وطن واحد، ويقتلون من أجل لا شيء! ودون أن يعيش الوطن! فهل ثمة حياة كريمة لوطن يموت رجاله ويبقى نساؤه الثكلى مع أحزان الفقد!

إلى أن تقول:

كل هذي الدماء

تثير بقلبي الوهن

لا أستطيع البقاء

أفرّ إذن..!

أتراجع خلف المتاريس

أهرب.. أهرب

دربي إلى أين يفضي؟

حوالي كل الفضاء فناء

تكثّف فيه السؤال

لماذا.. لماذا.. لماذا..

كل هذا هباء

أين اتجهتُ أظلّ أواجه مصرع أرضي..[2]

إن «حالة الوطن الذي عاش تحت وطأة الحرب الأهلية جعل الشاعرة تلتحم مع الجندي الذي يعيش في ردهات هذه الحرب، وتكلمت بلسانه، وسألت ذلك السؤال الذي يدور في ذهن كل شخص كان من ضحايا هذه الحروب: لماذا نقاتل

(1) أين اتجاه الشّجر..؟، ص81.

(2) المصدر نفسه، ص82 – 83.

بعضنا؟»[1]، فهذه الدماء ومنظر القتلى المنتشر في كل مكان أصابها بالضعف، وأثار رغبتها بالهرب، لكن إلى أين تهرب فكل الأماكن حولها ملأى بصور شتى للحروب والفناء والدمار.

ومثل هذه الحروب الأهلية تعكس صورة الوطن/ الجرح، فآثارها تظلّ باقية تحفر الوجع العميق في نفوس الجنود ومن يحيط بهم حتى وإن انتهى القتال.

وتقول ثريا في قصيدة: لا تفتح الباب.. للصبح، من ديوان «امرأة دون اسم»:

حين دقّ الصباح على الباب
ما كان نبع الجفاف نضب
كان تحت سكون الرمادِ
حريقًا بأضلعنا يلتهب
قلتُ: يا سيدي لا تضئ عندنا
أو تجئ بوعودك تبني لنا وطنًا
هداياك مرفوضة..
إذ نعضّ على وجع الأمس
نبكي..
وأنت السبب..!
لا تفتح الباب للصبح!
وحدها نجمة الليل تبصرُ
كيف احتدام الغضب
وحدها نجمة الليلِ
تسمع همس الجراحِ
ودمدمة الحزن حتى الصباح

(1) ثريا العريض شاعرة، ص23.

حين رياح الهموم تهبّ
وكيف بلمع ثناياه
نخفي صراخ السكوت
يمضغنا
ويلفظ أشلاءنا في زوايا البيوت
لنبعث أحياء أموات في قبضة العنكبوت[1]

ففي هذا النص تشيع مفردات: الوجع، البكاء، الحزن، الغضب، الجراح، الهموم، الصراخ... مرتبطة بحضور الوطن، فهي تتألم من شدة الهموم المحيطة بها، حتى وإن بدا الحريق ساكنًا، فما زالت نيران الوجع تلتهب تحت الرماد، إن جرح الوطن جرح عميق يحتاج إلى المزيد من الوقت ليبرأ.

فالصباح رمزٌ للأمل، والوطن الواعد، لكن لكي تُبنَى الأوطان فإنها تحتاج إلى مزيد من الإعداد والتروّي؛ لكي تقوم على أسس متينة، بعد أن تشفى جراح الأمس، وتهدأ ثورات الغضب، وتندمل الأحزان.

إن نصوص ثريا «تمثل لفكرة الانتماء الكلي بمجموع المعاني والدلالات، ونتيجة الانفعال والتفاعل بهذا الانتماء تتولد حالة متجانسة إبداعيًا مع محتويات هذه النتيجة كاستقراء عناصر رؤية الواقع بنمطية يجددها وعي الشاعرة وإدراكها للعلائق المتعددة لمحتوى الرؤية، التي تفند درن الواقع وانتهاكاته وانحطاطه بالوقت عينه التي تعمق جذور الانتماء»[2]، وهذا ما يعكس رؤية الشاعرة المتجذرة بالوطن، الحالمة بغد أفضل.

ويكثر ارتباط الوطن الوجع بمفردة الصمت:

---

(1) امرأة دون اسم..، ص125 – 126

(2) ملامح البناء الشعري وخصوصياته في ديوان (أين اتجاه الشجر..؟) للشاعرة: ثريّا العريّض، عدد: الأحد 5 ربيع الثاني 1420هـ.

قطرةً.. قطرةً

نتعاطى الشجون

ظمأً.. وجعًا.. وطنًا

صمتًا به نتآكل

صمتًا به نتخاذلُ

صمتًا به نُغتصب

صمتًا نمجّ به دمَ القلب

حين نعاقر حلمًا يموت[1]

إلى أن تقول:

نهرق الحب والحلم في وطنٍ سادرٍ

لا يُباح

يدير لنا ظهره

ويحرمنا ظلّه

ويتركنا نستباح

ويغرس في حلقنا

خنجر الرفض كلّ صباح

كوعد الطفولة

وهمٌ جميل

نراه.. ولا نتداولُهُ..!

لذا سيدي

لانفتحُ الباب..

للصبحِ

---

(1) امرأة دون اسم..، ص127.

نبقى على هامش الليل

في أرضنا نغترب[1]

تذكر ثريا أسباب رفضها لمقدم الصباح/ الوعد/ الوطن فقد خذلها حين صبّت الحب والأحلام فيه، فأدار ظهره لها متجاهلًا حاجاتها وطلباتها ومشكلاتها... فهو مثل الوهم الجميل ووعد الطفولة الذي لا يتحقق، فما الفائدة من هذا الصبح؟، فالبقاء على هامش الليل والاغتراب أفضل من مطاردة الوهم.

وتقول في قصيدة: اليقين:

كل الدروب تعودُ بنا لإثم الطفولةْ

وطنٌ يتفاقمُ صمتًا

يا وجعًا لم نُبنه.. ولا يستكين

يوم استبدّ بنا.. المسافات

أشعل فينا توقّد أحلامنا

وأطفأ وهجَ انتشاءاتنا

.. والحنين.[2]

فالوطن والصمت يساويان الوجع، وهي معادلة متكرّرة في نصوص ثريا، فذلك الوطن الذي أشعل الأحلام، وأوقد الهمم، هو ذاته الذي أطفأ وهج الانتشاء، وجمر الحنين.

ويعد الصمت لديها «أحد عناصر التشكيل الفني، وحين يكون الصوت مشروخًا، خاليًا من المعنى، مجرد صراخ أجوف، تتدثر الشاعرة بالصمت وتنحاز إليه، ويصبح الصمت ضرورة لأن الواقع أكثر دمامة وكآبة، واستعادة الواقع استعادة

(1) امرأة دون اسم، ص128، 129

(2) المصدر نفسه، ص156.

للحظات التخاذل والضعف، والشاعرة لا تحب ذلك، هي تميل للانتصار، للحياة، للازدهار، لحب الوطن»[1] فبالصمت تجابه الواقع حين لا تجد الكلمات من يسمعها.

وتختم قصيدة: مساءلة ابن أبي ربيعة بقولها:

حان أن تقفلي محضر النزف والأسئلةْ
لأنك حتمًا تعودينَ
شامخةً
وراسخةً بوطن
يتجذّر فيكِ
صدى اللحظة المقبلةْ[2]

إن ثريا تثق بعمق تجذّرها ورسوخها بوطنها، وبأنه مهما تمادى الوجع، واستشرى الألم، لا بد من إيقاف الأسئلة النازفة؛ لأنها واثقة ببهاء المستقبل، وجمال اللحظات القادمة.

إنها «امرأة استأمنت الشعر على مواجعها فجاءت الألحان بحجم الأحزان، ومزجت بين الواقع والرومانسية، فلم تحلق في أفق التهويم، ولا انغمست في طين الواقعية، وإنما انطلقت بأجنحة الحلم في سماء الهدف وأرخت علينا ظلالها لنتلمّس إيحاءات هذه الظلال في كل خفقة ريش مجازية»[3].

وأختم هذه الدراسة بقصيدة لثريّا بعنوان: ماذا نسمّي الوطن؟ وقد نشرتها حديثًا، وهي تحمل رؤيتها، وتفاؤلها، وثقتها بقدرة وطنها على التحوّل والوصول والتألّق.

تقول في مقدمتها:

---

(1) ثريّا العريّض والشعر، ص106.
(2) امرأة دون اسم، ص123.
(3) ثريّا العريّض والشعر، ص187. (بتصرف)

«يسألني صغاري كيف تحملت كل ذلك الانتظار؟ وكل مؤشرات الأرصاد كانت تشير إلى تصاعد أجواء تجفيف المحيط من أي وعد بالسعادة؟

قلت: كنت أطرح الأسئلة، وأبحث عن الأجوبة الكونية الدائمة، لا البشرية المتغيرة حسب منطلق المصالح الفئوية وتوجهاتها؛ وانتظرت باقتناع أن الوطن لا يولد بين يوم وليلة، ولا بين كره وكرب..

انتظرت بشوق لإيماني أن التحول قادم لا محالة، وسنصل إلى ساحل السلامة وبر الأمان والوطن!

وها نحن وصلنا أو أوشكنا.. فهلا شاركتموني طقوس الرضا والشكر والثناء لانتهاء فصول الغبار والرياء والغباء.

لم يكن الانتظار يا صغاري هباء

قلت للبحر والموج يحنو على خطواتي:

«يا بحر أين حدود الوطن؟

كاد يغفي المساء

يغيض الرجاء

وننسى طفولتنا في المحن»

همس الموج:

«في القلب بدء الوجود

وسر الخلود

لا ينتهي خفقه أبدًا»

قلت للريح والريح تذرو بقايا شتاتي

«جمعيني

لعلي ألملم ذاتي

وخذيني

لأفق بعيد.. بعيد

حيث تهبين يا ريح

ثم أخبريني

كيف اتجاه الوطن؟»

فدمدمت الريح:

«أصغي له وأصيخي

تسمعين الأهازيج

والقلب يعرف كيف يحن..»

قلت والليل يشهق في خلجاتي

«سفري طال

والحال حال

والشوق أرهق أشرعتي والسفن

يا نجمة الفجر ومضك خيط حياتي

طمئنيني

أني شروق الوطن؟»

همست نجمة الفجر واعدة..:

«هو آت

في ومضة الحب

في نبضة القلب

في لهفة القرب

حين تهز الحياة البدن..»

قلت للفجر حين أضاء

وأورق بين الضلوع انتشاء

وأبصرت توق الثرى

وانهمار السماء:

«هذه الأرض أعرفها

تتبرعم بين الشرايين

أغنية.. ونداء

ها نحن حتمًا وصلنا

وصلنا

فماذا نسمي الوطن؟»

همس الفجر:

«أرض البقاء

أفق الحياة يظل بنا

في حصار الزمن»

هجع البحر والريح والليل في نبضاتي

والقلب؟

ظل يغني.. يغني.. يغني

له..

للوطن.» [1]

لقد تحقّق حلم ثريا، فها هو الوطن الذي حلمت به عقودًا قد امتثل أمامها مثلما تمنّت وأكثر، وها هي تطرح تساؤلاتها على البحر والريح والليل والفجر:

(1) حوار حضاري – ماذا نسمي الوطن؟، د.ثريا العريّض، صحيفة الجزيرة، عدد: الثلاثاء 21 فبراير 2017م.

يا بحر ← أين حدود الوطن؟

يا ريح ← كيف اتجاه الوطن؟

يا نجمة الفجر.. طمئنيني ← أني شروق الوطن؟

قلت للفجر حين أضاء ← ماذا نسمي الوطن؟

لتأتيها الإجابات المطمئنة كما أحبت، وليهمس الفجر بأن الوطن هو: أرض البقاء، وأفق الحياة، يظل بنا في حصار الزمن، وليهجع البحر والريح والليل في نبضاتها، أما القلب فظلّ يغني لدقاته وللوطن، حبًّا وثقةً وبهجة وسعادة وعرفانًا.

إن القارئ لنصوص ثريا العريّض يلحظ «غياب الهاجس الشخصي المحض، فهناك إلحاحٌ على خطاب مثقل بالوعي الفكري بالنسبة إلى قضية الوطن، وقضية المرأة ووضعها في المجتمع، وهو خطاب يحاول تلمّس الخلل في هذه العلاقة»[1]، والدعوة إلى شحذ الهمم لتحقيق أحلام الوطن.

وتظهر الشاعرة في قصائدها عن الوطن منتمية بلا حدود لكنها رافضة للمظهر المتردي الذي يصدئ الجوهر المتعانقة معه، والمتعمقة فيه؛ لذا هي تقدم معاناتها بحس شعري مجابهٍ له، كما تقدم أداء شعريًّا يجسد حلمها وتطلعها وفق مؤسسات معرفية وثقافية، هي تبصر صور الواقع المتردي، وفي الوقت ذاته تقدم استبصارًا تخيليًّا لما تتمناه لهذه الصور، وتقدمها كإشراقات موشحة بالتفاؤل والثورة والحلم[2].

وثريا تقدم صوتًا شعريًّا ناضجًا ذا خصوصية وتفرّد، يلفُّه الصدق، وينضح بجماليات الصورة، وشفافية الروح، وقوة التراكيب، وتناسقها، وهي الشاعرة المجيدة

(1) قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، ج2، ص1099.

(2) يُنظر: ملامح البناء الشعري وخصوصياته في ديوان (أين اتجاه الشجر) للشاعرة: ثريّا العريّض، عدد: الأحد 5 ربيع الثاني 1420هـ.

التي تملك معجمها الخاصّ، ولديها القدرة على استدعاء الشخصيات التراثية، وتوظيف الأسطورة في موضوعاتها، كما تملك تلك النظرة العميقة للمستقبل.

إنها شاعرة شامخة، عزيزة حين تطرق أبواب الحب، متجذرة في الوطن، تحبه بصدق، وتنتمي إليه بعمق ووفاء.

****

الخاتمة

بعد حمد الله على توفيقه وامتنانه، فقد رَصَدَتْ هذه الدراسة ملامح الوطن بعيني زرقاء (ثريّا العريّض) من خلال ثلاثة مباحث: الوطن المحبوب، والوطن الحُلُم، والوطن الجرح؛ لتتمخض هذه الرحلة عبر مسارب قصائد الشاعرة إلى جملة من النتائج:

1 - إسهام مراحل الاغتراب التي عاشتها ثريا العريّض، في إظهار الوطن بصورة المحبوب في مواضع عديدة من نصوصها؛ ففي الغربة تغني له وتشتاق ويتعبها الحنين، وتؤنسن صورته كرجل يبادلها الشوق والحب واللهفة والغناء.

2 - ظهور وطن الشاعرة السعودي في بعض المواضع رمزًا - رغم النفحة العربية القومية التي ينضح بها شعرها - ملقيًا بظلاله الرومانسية المتمثلة بالحنين والشجن والاشتياق، كما ظهر واقعًا حين عبرت الشاعرة عن قلقها من بعض الأحداث الخاصة.

3 - رغم واقعية ثريا، إلا أنها لم تتخلَّ عن التفاؤل والحلم في رسم صورة الوطن، فالغد أجمل حتى إن قسى الماضي والحاضر.

4 - يعد الوطن معادلًا للحلم الذي لا يموت ولا يفنى رغم كل شيء، فالأمل والإصرار والتحدي والحب يصنع المعجزات، ويصنع الوطن/ الحلم.

5 - يمثّل الوطن هاجسًا لدى ثريا العريّض في كل دواوينها.

6 - يظهر الوطن الحلم، والوطن الجرح - الذي تغني فيه الشاعرة على جراحات الوطن العربي الكبير - كموضوعين بارزين ومتلازمين أحيانًا في ديوانها: «أين اتجاه الشجر..؟»

7 - يعد الوطن الجرح من أبرز صور الوطن ظهورًا من حيث كثرة شواهده في شعرها.

8 - تقمّص شخصية زرقاء اليمامة في ديوان: أين اتجاه الشجر..؟ حتى غدت معادلًا موضوعيًّا لها.

9 - عمق وعي الشاعرة بهموم وطنها، وتجذّرها، وقوة انتمائها.

ترجمة الشاعرة:

ثريا بنت إبراهيم العريِّض، شاعرة وكاتبة صحفية سعودية، من مواليد المنامة في مملكة البحرين عام 1365هـ/ 1946م، والدها هو الشاعر المعروف إبراهيم العريّض، أتمت بعض مراحل تعليمها الأولي في لبنان، وحصلت على الشهادة الجامعية في التربية وتدريس اللغة الإنجليزية للناطقين بغيرها من كلية بيروت للبنات، كما حصلت على درجة الماجستير في إدارة المؤسسات التربوية من الجامعة الأمريكية ببيروت، وحصلت على درجة الدكتوراه في تخصص الإدارة والتخطيط التربوي من جامعة نورث كارولينا عام 1975م، وتعمل الآن مستشارة تخطيط في شركة أرامكو بالظهران، لها عدد من الإسهامات الأدبية والبحثية والأمسيات الشعرية محليًّا وعربيًّا، وحضور بارز في الندوات والمؤتمرات المحلية والخارجية في مجال التخطيط العام والتربية والتعليم وتوعية المجتمع، ودور المرأة في التنمية والتغير الاجتماعي، كم أن لها عددًا من الزوايا الصحفية في الصحف السعودية والخليجية والعربية، كُتِب عنها عدد من الدراسات، كما تكتب الشعر باللغتين العربية والإنجليزية. وإصداراتها الشعرية: عبور القفار فرادى (1414هـ/ 1993م)، و: أين اتجاه الشجر..؟ (1415هـ/ 1995م)، و: امرأة دون اسم (1418هـ/ 1998م)[1].

****

(1) يُنظر: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، ج1، ص626؛ وشاعرات معاصرات من الجزيرة والخليج، ص72؛ وقاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، ج2، ص1098، 1099؛ والمكان والجسد والقصيدة، ص187، 188؛ وشعر المرأة السعودية المعاصر: دراسة في الرؤية والبنية، ص648؛ وديوان الشاعرات في المملكة العربية السعودية: سير ونصوص، سارة الأزوري، الطبعة الأولى، الرياض: دار المفردات، 1432هـ/ 2011م، ص148؛ وثريا العريض شاعرة، ص8 - 13.

ثَبَت المصادر والمراجع

أولًا - المصادر:

1 - **امـرأة دون اسـم**، ثريا العريِّض، الطبعة الأولـى، الـدمـام: مطابع التريكي، 1418هـ/ 1998م.

2 - **أين اتجاه الشجر..؟**، ثريا العريِّض، الطبعة الأولى، الدمام: مطابع التريكي، 1415هـ/ 1995م.

3 - **عبور القفار فرادى**، ثريا العريِّض، الطبعة الأولى، الطائف: النادي الأدبي، 1414هـ/ 1993م.

ثانيًا - المراجع:

أ – المؤلفات:

1 - **الأدب وفنونه**: دراسة ونقد، عزالدين إسماعيل، الطبعة التاسعة، القاهرة: دار الفكر العربي، 2007م.

2 - **أدب المرأة: دراسات نقديّة**، مجموعة من الأدبـاء والكتاب، الطبعة الأولـى، الرياض: نشر العبيكان، 1428هـ - 2007م.

3 - **أشكال التناص وتحـولات الخطاب الشعري المعاصر: دراسـات فـي تأويل النصوص**، حافظ المغربي، الطبعة الأولى، حائل: النادي الأدبي بالتعاون مع مؤسسة الانتشار العربي ببيروت، 2010م.

4 - **إغواء العتبة: عنوان القصيدة وأسئلة النقد**، د .سامي بن عبدالعزيز العجلان، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية: نادي أبها الأدبي، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2015م.

5 - **بلاغات النساء**، لابن طيفور، (د: ت).

6 - **بين الأدب والنقد: مجموعة مقالات وبحوث**، عبدالحكيم بلبع، الطبعة الأولى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م.

7 - **تأنيث القصيدة والقارئ المختلف**، عبدالله محمد الغذّامي، الطبعة الثانية، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2005م.

8 - **التجربة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية: دراسة نقدية - رؤية وشهادة**، محمد صالح الشنطي، الطبعة الأولى، حائل: النادي الأدبي، 1423هـ/ 2003م.

9 - **تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة: دراسة في نقد النقد**، محمد عزّام، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2003م.

10 - **تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص**، محمد مفتاح، الطبعة الثالثة، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1992م.

11 - **التلقي والسياقات الثقافية: بحث في تأويل الظاهرة الأدبية**، د.عبدالله إبراهيم، الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، 1422هـ.

12 - **التناص في شعر الروّاد: دراسة**، أحمد فاهم، الطبعة الأولى، مدينة نصر - القاهرة: دار الآفاق العربية، 1428هـ/ 2007م.

13 - **التناص النظرية والممارسة**، مصطفى بيومي، الطبعة الأولى، الرياض: النادي الأدبي، 1430هـ/ 2010م.

14 - **توظيف التراث في الشعر السعودي المعاصر**، أشجان محمد الهندي، الطبعة الأولى، الرياض: النادي الأدبي، 1417هـ/ 1996م.

15 - **ثريّا العريّض والشعر**، إعداد: محمد علي الخلفان، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة للنشر والتوزيع، 2008م.

16 - **الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية**، بكري شيخ أمين، الطبعة الثانية، بيروت: دار صادر، 1392هـ/ 1972م.

17 - **الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة**، نبيل منصر، الطبعة الأولى، المغرب: دار توبقال للنشر، 2007م.

18 - **دراسات في الأدب العربي الحديث**، د. محمد مصطفى هدّارة، الطبعة الأولى، بيروت: دار العلوم العربية، 1410هـ/ 1990م.

19 - **ديوان الشاعرات في المملكة العربية السعودية: سير ونصوص**، سارة الأزوري، الطبعة الأولى، الرياض: دار المفردات، 1432هـ/ 2011م.

20 - **الرجل في شعر المرأة: دراسة تحليليّة للشعر النسوي القديم**، عمر بن عبدالعزيز السيف، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2008م.

21 - **الرمز والرمزية في الشعر المعاصر**، محمد فتوح أحمد، الطبعة الثالثة، القاهرة: دار المعارف، 1984م.

22 - **شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام**، بشير يموت، الطبعة الأولى، بيروت: المكتبة الأهلية، 1353هـ/ 1934م.

23 - **شاعرات معاصرات من الجزيرة والخليج**، سعود الفرج، الطبعة الأولى، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1423هـ/ 2002م.

24 - **الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها: التقليدية**، محمد بنيس، الطبعة الثانية، المغرب: دار توبقال للنشر، 2001م.

25 - **الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها: الرومانسية العربية**، محمد بنيس، الطبعة الثانية، المغرب: دار توبقال للنشر، 2001م.

26 - **الشعر العربي الحديث: الشعر المعاصر**، محمد بنيس، الطبعة الثانية، المغرب: دار توبقال للنشر، 1996م.

27 - **الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها: مساءلة الحداثة**، محمد بنيس، الطبعة الثانية، المغرب: دار توبقال للنشر، 2001م.

28 - **الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، عز الدين إسماعيل، بيروت: دار العودة، 2007م.

29 - **شعر المرأة السعودية المعاصر: دراسة في الرؤية والبنية (1383 - 1423هـ)**، فواز بن عبدالعزيز اللعبون، الطبعة الأولى، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ/ 2009م.

30 - **صورة الرجل في الرواية النسوية السعودية: رؤية ثقافية جمالية**، منصور المهوس، الطبعة الأولى، الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، 1429هـ/ 2008م.

31 - **صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية (1390هـ/ 1416هـ)**، منال العيسى، الطبعة الأولى، الرياض: النادي الأدبي، 1423هـ/ 2002م.

32 - **ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث**، د.علوي الهاشمي، الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، 1418هـ.

33 - **العنوان: تشكيله ومحاوره الدلالية (دراسة في شعر عبدالعزيز العجلان)**، د.دوش بنت فلاح الدوسري، الطبعة الأولى، الرياض: النادي الأدبي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2016م.

34 - **العنوان في الثقافة العربية: التشكيل ومسالك التأويل**، محمد بازي، الطبعة الأولى، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 1433هـ/ 2012م.

35 - **فن الشعر، إحسان عبّاس، الطبعة الأولى**، بيروت: دار صادر، عَمّان: دار الشروق، 1996م.

36 - **في الأدب السعودي الحديث**، الأستاذ الدكتور حسين علي محمد، الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة)، الرياض: دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، 2009م.

37 - **في الأدب السعودي**، محمد العيد الخطراوي، الطبعة الأولى، حائل: النادي الأدبي، 1421هـ/ 2000م.

38 - **في الأدب العربي السعودي وفنونه واتجاهاته ونماذج منه**، محمد صالح الشنطي، الطبعة الثالثة، حائل: دار الأندلس للنشر والتوزيع، 1424هـ/ 2003م.

39 - **في أعماق الروح: الحلم في القصة القصيرة السعودية** (1400 - 1420هـ) **دراسة نقدية**، تهاني المبرك، الطبعة الأولى، الرياض: دار المفردات، 1430هـ/ 2009م.

40 - **في تأمل الشعر: كتابات أدبية**، ممدوح السكّاف، دمشق: منشورات اتحاد الكتّاب العرب، سلسلة الدراسات (16)، 2008م.

41 - **في المصطلح النقدي**، أحمد مطلوب، بغداد: منشورات المجمع العلمي، 1423هـ/ 2002م.

42 - **في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية**، سعد عبد العزيز مصلوح، الطبعة الثالثة، القاهرة: عالم الكتب، 1422هـ/ 2002م.

43 - **في النقد الأدبي**، صلاح فضل، دمشق: من منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 2007م.

44 - **في النقد الأدبي**، عبد العزيز عتيق، الطبعة الثانية، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1391هـ/ 1972م.

45 - **قـراءات في الشعر العربي الحديث المعاصر**، خليل موسى، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2002م.

46 - **القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية: دراسة**، محمد صابر عبيد، دمشق: منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 2001م.

47 - **قصيدة المرأة في المملكة العربية السعودية: مقاربة تطبيقية**، راشد عيسى، الطبعة الأولى، حائل: النادي الأدبي بالتعاون مع مؤسسة الانتشار العربي ببيروت، 2010م.

48 - **قضايا وإشكاليات في الشعر العربي الحديث: الشعر السعودي أنموذجًا، نذير العظمة**، الطبعة الأولى، جدة: النادي الأدبي الثقافي، 1422هـ/ 2001م.

49 - **لسان العرب**، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، القاهرة: دار المعارف، (د.ت).

50 - **لعبة الترميز: دراسات في الرموز واللغة والأسطورة**، عبدالهادي عبدالرحمن، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2008م.

51 - **اللغة : دفاتر فلسفية: نصوص مختارة**، إعداد وترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، الطبعة الرابعة، المغرب: دار توبقال، 2005م.

52 - **مدارس النقد الأدبي الحديث**، محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثانية، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1424 هـ/ 2003م.

53 - **مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه**، محمد الأخضر الصبيحي، الطبعة الأولى، بيروت: الدار العربية للعلوم، 1429هـ/ 2008م.

54 - **المرأة في الشعر السعودي قبل النهضة وبعدها**، لطيفة بنت عبد العزيز المخضوب، الطبعة الأولى، الرياض: مطبعة سفير، 1419هـ/ 1998م.

55 - **المرأة العربية والإبداع الشعري**، سهام عبدالوهاب الفريح، الطبعة الأولى، سورية: دار المدى للثقافة والنشر، 2004م.

56 - **المرأة واللغة**، عبدالله محمد الغذّامي، الطبعة الثانية، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2006م.

57 - **المرأة واللغة - 2 - ثقافة الوهم**، عبد الله محمد الغذامي، الطبعة الثالثة، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2006م.

58 - **معجم الأدباء والكتاب: الموسوعة الثقافية الشاملة للملكة العربية السعودية**، الدائرة للإعلام المحدودة، الطبعة الأولى، الرياض: نشر الدائرة، 1410هـ/ 1990م.

59 - **معجم الأديبات الشواعر**، السيّد جمال الدين الحسيني، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، دمشق: دار الثقافة العربية، 1416 هـ/ 1996م.

60 - **معجم أسبار للنساء السعوديات**، إعداد أسبار للدراسات والبحوث والإعلام، الطبعة الأولى، الرياض، 1418هـ.

61 - **معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين**، إعداد مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الطبعة الأولى، الكويت: نشر المؤسسة، 1995م.

62 - **معجم الشعراء السعوديين**، عبدالكريم بن حمد الحقيل، الطبعة الأولى، الرياض، 1424هـ/ 2003م.

63 - **المكان والجسد والقصيدة: المواجهة وتجليات الذات**، فاطمة الوهيبي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005م.

64 - **الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي**، عمر الطيِّب الساسي، جدة: مكتبة دار زهران، (د.ت).

65 - **موسوعة أميرات الشعر العربي**، أحمد أبو شاور، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2010م.

66 - **موسوعة شاعرات العرب**، عبدالحكيم الوائلي، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2001م.

67 - **نزهة الجلساء في أشعار النساء**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبداللطيف عاشور، القاهرة: مكتبة القرآن، (د: ت).

68 - **النقد الأدبي ومدارسه الحديثة**، ستانلي هايمن، ترجمة إحسان عباس - محمد يوسف نجم، الطبعة الثالثة، القاهرة: دار الفكر العربي، (د.ت).

69 - **النقد الأدبي**، محمد غنيمي هلال، القاهرة: مطبعة نهضة مصر، (د.ت).

70 - **نقد الشعر**، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).

71 - **النقد العربي القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي**، وليد قصاب، الطبعة الأولى، دمشق: دار الفكر، 1426هـ/ 2005م.

72 - **النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة** (مترجم عن الأستاذين لانسون ومايبه)، محمد مندور، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت).

73 - **النقد الموضوعاتي**، د.سعيد علوش، الطبعة الأولى، الرباط: شركة بابل للنشر والتوزيع، 1989م.

74 - **الوهم ومحاور الرؤيا: دراسات في أدبنا الحديث**، منصور إبراهيم الحازمي، الطبعة الأولى، الرياض: المفردات للنشر، 1421هـ/ 2000م.

ب - المقالات:

1 - **بعيني زرقاء: التخطيط للتحول الإقليمي القادم 3 - 5**، د.ثريّا العريّض، صحيفة الجزيرة، عدد الأحد 6 نوفمبر 2016م.

2 - **حوار حضاري - ماذا نسمي الوطن؟**، د.ثريا العريّض، صحيفة الجزيرة، عدد: الثلاثاء 21 فبراير 2017م.

3 - **حين غنّت الزرقاء... قراءة نقدية في ديوان: أين اتجاه الشجر..؟ للشاعرة ثريا العريض**، الدكتور محمد رحومة، مجلة الواحة: مجلة فصلية تعنى بشؤون التراث والثقافة والأدب في الخليج العربي، العدد 17، الربع الثاني، عام 2000م.

4 - **ديوان ثريا العريّض «امرأة دون اسم» وإلحاح على هويّة الوجدان**، خديجة آيت عمي، صحيفة الحياة، العدد 12812، 1/ 4/ 1998م.

5 - **شوارد - أين اتجاه الشجر..؟** ثريّا العريّض، صحيفة الحياة، العدد: 58، 8/ 3/ 1993م.

6 - **صوفيا ومكافحة الألم**، ثريّا العريّض، صحيفة الجزيرة، عدد: الثلاثاء، 14 نوفمبر 2017م.

7 - **المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي**، جميل حمداوي، المغرب: مجلة طنجة الأدبية، 24/ 2/ 2009م، http:/ / ar.aladabia.net/ article - 1098 - .

8 - **ملامح البناء الشعري وخصوصياته في ديوان (أين اتجاه الشجر) للشاعرة: ثريّا العريّض**، خالد زغريت، صحيفة الجزيرة، عدد: الأحد 5 ربيع الثاني 1420هـ.

9 - **هموم الجوار وسموم الأخبار**، ثريّا العريّض، صحيفة الجزيرة، عدد: الأحد 9 إبريل 2017م.

10 - **وضعية النقد الموضوعاتي**، سعيد علوش، المملكة المغربية: وزارة الثقافة، رابط المقال / http:/ / www.minculture.gov.ma/ index. php/ 2010 - 01 - 11 - 01 - 40 - 04/ etudes - essaie/ 560 - .said - allouch - situation - de - la - critique - thematique

ج - الرسائل الجامعية:

1 - **ثريا العريض شاعرة**، مجدي عيد الأحمدي، رسالة مقدمة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة عام 2006.

2 - **سيمياء المطر عند شواعر المشرق العربي**، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في الأدب والنقد، إعداد: أحلام بنت منصور الحميد القحطاني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية بالرياض، 1438 - 1439هـ.

3 - **صورة الرجل في شعر المرأة السعودية**، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير) في الأدب العربي، إعداد: أحلام بنت منصور الحميد القحطاني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية بالرياض، 1432هـ/ 2011م.

4 - **منهج النقد الموضوعاتي في البحث عن النغم الضائع**، د.جوزف لبّس، (مقدمة أطروحة الدكتوراه)، الجامعة اللبنانية، 2003م.

****

المحتوى

- الإهداء 3
- التصدير: أ. عبدالعزيز سعود البابطين 5
- تقديم 7
- المبحث الأول: الوطن المحبوب 11
- المبحث الثاني: الوطن الحُلُم 29
- المبحث الثالث: الوطن الجرح 51
- الخاتمة 93
- ثَبَت المصادر والمراجع 95
- المحتوى 105

****